

الإطار المفهومي للبحث ونظرياته

مخطط الفصل الثاني

الإطار المفهومي للبحث ونظرياته

تمهيد

١- مفاهيم البحث

١-١ مفهوم التنشئة الاجتماعية

١-١-١ التنشئة الاجتماعية لغة

١-١-٢ التنشئة الاجتماعية اصطلاحاً

١-١-٣ مناقشة التعاريف

٢-١ مفهوم الأسرة

١-٢-١ مفهوم الأسرة لغة

٢-٢-١ مفهوم الأسرة اصطلاحاً

٣-٢-١ مناقشة التعاريف

٣-١ مفهوم أساليب التربية

١-٣-١ مفهوم أساليب التربية لغة

٢-٣-١ مفهوم أساليب التربية اصطلاحاً

٣-٣-١ مناقشة التعاريف

٤-١ مفهوم القيم

١-٤-١ مفهوم القيم لغة

٢-٤-١ مفهوم القيم اصطلاحاً

٣-٤-١ مناقشة التعاريف

٥-١ مفهوم الطفل وحقوقه

١-٥-١ مفهوم الطفل

٢-٥-١ مفهوم حقوق الطفل

٦-١ مفهوم عمالة الأطفال

١-٦-١ مفهوم العمالة

٢-٦-١ مفهوم عمالة الأطفال

- ١-٦-٣ مناقشة التعاريف
- ١-٧-٧ مفهوم أطفال الشوارع
- ١-٧-١ تعاريف بعض المنظمات والهيئات الدولية لأطفال الشوارع
- ١-٧-٢ تعاريف بعض العلماء الغربيين لأطفال الشوارع
- ١-٧-٣ تعاريف بعض العلماء العرب لأطفال الشوارع
- ١-٧-٤ مناقشة التعاريف
- ٢- نظريات البحث
- ٢-١ الاتجاهات النظرية الكبرى في دراسة نمو الطفل
- ٢-٢ النظريات المفسرة لاكتساب القيم
- ٢-٢-١ نظرية التحليل النفسي
- ٢-٢-٢ النظرية السلوكية
- ٢-٢-٣ النظرية المعرفية
- ٢-٢-٤ النظرية المثالية
- ٢-٢-٥ نظريات القيم عند علماء النفس الاجتماعي
- ٢-٢-٦ نظريات القيم عند علماء الاجتماع
- ٢-٣ النظريات المفسرة للتنشئة الاجتماعية
- ٢-٣-١ النظرية السلوكية
- ٢-٣-٢ النظريات النفسية
- ٢-٣-٣ النظريات الاجتماعية
- ٢-٣-٤ مناقشة النظريات المفسرة للتنشئة الاجتماعية
- خلاصة الفصل

تمهيد

إن أي بحث علمي يتطلب من صاحبه أن يستعرض بدقة المفاهيم التي يتبناها في البحث، وهو يقود بالضرورة إلى الرجوع إلى التناولات المختلفة للعلماء والباحثين كل حسب نظريته، وكل حسب إطاره المرجعي في فهم الظاهرة أو المفهوم. الموضوع الذي سنتناوله بالدراسة في هذه الحالة يمتد من القيم - التي تعتبر الأساس في تشكيل حياة الفرد والمجتمع ولها دور في حراسة البناء الاجتماعي من التدهور والانحيار، وتمثل الحلقة الوسطى التي تربط بين العقيدة والنظم الاجتماعية والسياسية كما أنها في ذات الوقت تمثل أحد المصادر الدائمة للحراك الاجتماعي - إلى ظاهرة اجتماعية برزت بقوة في الآونة الأخيرة على الساحة الاجتماعية ألا وهي ظاهرة "أطفال الشوارع" والتي تحتاج إلى تسليط الكثير من الأضواء عليها.

سنحاول في هذا الفصل الذي خصصناه للحديث عن الإطار المفهومي للبحث ونظرياته تناول المفاهيم ذات العلاقة بموضوع الدراسة وكذا الاتجاهات النظرية المختلفة المفسرة لكل مفهوم.

١ - مفاهيم البحث :

سنحاول أن نستعرض في البداية ماهية كل المتغيرات التي تتعلق بالبحث المراد دراسته، حيث نلقي الضوء على كل مفهوم من زوايا متعددة.

١-١ مفهوم التنشئة الاجتماعية : التنشئة الاجتماعية من المواضيع التي اهتم بها العلماء والباحثين على اختلاف وجهات نظرهم، لما لها من أهمية قصوى في تهيئة الأفراد وفق خصائص البيئة التي سيعيشون فيها، نحاول أن نتعرض لهذا المفهوم بشيء من التفصيل حيث نلقي الضوء على جانبه اللغوي والاصطلاحي.

١-١-١ التنشئة الاجتماعية لغة :

إن التنشئة الاجتماعية هي socialisation في اللغة الفرنسية و socialization في اللغة الإنجليزية، كما أمكن العلماء من تحديد مصطلح عربي مقابل لها والمتمثل في مصطلح "الجمعة" ولكنه قليل الاستعمال والتداول.

والتنشئة الاجتماعية لفظ غير معتمد في قواميس اللغة العربية ومعاجمها ولم ترد مجتمعة حيث يمكن أن نجد لفظ تنشأ ونشأ وتنشئة، وهي معاني تتضمن النمو والحياة وممارسة بعض الحركات والعمليات التربوية التي تعمل في مجموعها على جعل الصغير ينمو ويكبر.

فكلمة "تنشئة" تعني "أقام" ونشأ الطفل معناها شب وقرب من الإدراك، ويقال نشأ في بني فلان أي ربي فيهم وشب".^(١)

وبارتباطها بلفظ "اجتماعية" يصبح مدلولها مقترنا بنمو الفرد في حالته الاجتماعية. وبهذا يمكننا استخلاص أن لفظ التنشئة الاجتماعية من الألفاظ المستحدثة في ميدان العلوم الاجتماعية، ولما تستخدم في ميدان اللغة العربية.

١-٢) التنشئة الاجتماعية اصطلاحاً:

يعرف العالم قي روشي G. ROCHER التنشئة الاجتماعية بكونها "الصيرورة التي يكتسبها الشخص عن طريقها ويبطن طوال حياته العناصر الاجتماعية الثقافية "éléments socioculturels" السائدة في محيطه ويدخلها في بناء شخصيته وذلك بتأثير من التجارب والعوامل الاجتماعية ذات الدلالة، ومن هنا يستطيع أن يتكيف مع التنشئة الاجتماعية حيث ينبغي عليه أن يعيش".^(٢)

فإذا تمعنا هذا التعريف نجد أن التنشئة الاجتماعية تشمل اكتساب المعارف والنماذج والقيم والرموز الموجودة في مجتمعه، حيث تبدأ هذه العملية منذ الولادة وتستمر طوال الحياة. ولا شك في أن الطفولة الأولى هي المرحلة الأكثر تأثيراً وقوة في التنشئة الاجتماعية (*) لأنه يكون فيها أكثر طواعية وأكثر استعداداً للتعلم وعلى إثر التنشئة الاجتماعية تصبح عناصر المجتمع والثقافة جزءاً متمماً في بناء الشخصية، لدرجة أن هذه العناصر تصبح جزءاً في مضمون البنیان، لذلك فليس من الممكن أن نقيس أي قدر من الثقافة أو من النسق الاجتماعي قد اندمج في الشخصية وتكامل معها.

بالإضافة إلى هذا فإن المقدار مختلف من شخص إلى آخر، فضلاً عن ذلك فما يمكن تأكيده هو أن الثقافة والنسق الاجتماعي في الوقت الذي يندمجان فيه في الشخصية

^١ - محي الدين مختار (١٩٩٨): التنشئة الاجتماعية المفهوم والأهداف، في مجلة العلوم

الإنسانية، العدد ٩ جامعة قسنطينة، الجزائر، ص: ٢٥.

^٢ - G. ROCHER (1986) : Introduction à la sociologie générale, Montréal HMM , P :32

* - يؤكد علماء النفس المعرفي وعلماء النمو أن الطفل له قابلية كبرى للاكتساب والنمذجة في السلوك.

يصبحان إلزاماً أخلاقياً، أو قاعدة وجدانية أو كطريقة طبيعية، أو عادية في الفعل أوفي الشعور، بفضل هذا الاندماج وتكامل العناصر الاجتماع- ثقافية في الشخصية.^(١)

لا يشعر بوعي على الأقل أي فرد اجتماعي في نهاية الأمر بتقل الرقابة الاجتماعية وضرورات المحيط الاجتماعي ومقتضياته، والنتيجة الأساسية من وجهة نظر علم الاجتماع أن الشخص تكيف مع بيئته الاجتماعية، فالشخص الذي تكيف مع حياة المجتمع إنما هو من المحيط وينتمي إلى العائلة والمجتمع.

وقد لقي مفهوم التنشئة الاجتماعية اهتماماً كبيراً من قبل الباحثين والدارسين في جميع المجالات منها الاجتماعية والنفسية والتربوية، نستعرض معاً مختلف الآراء حول ماهية التنشئة الاجتماعية حسب كل اتجاه فيما يلي:

* التعريف النفسي للتنشئة الاجتماعية:

-تعريف " موري" (Murray): "العملية التي يتم من خلالها التوفيق بين دوافع الفرد الخاصة وبين مطالب واهتمامات الآخرين والتي تكون متمثلة في البناء الثقافي الذي يتعرض له الفرد." ^(٢)

- تعريف بارشون(Percheron): "فعل التنشئة الاجتماعية هوالتعلم تمثيل المدلول (Signifie) بواسطة واحد من الدالات (Signifiants) العديدة التي تستعمل لتكوين تصور عنه." ^(٣)

- تعريف دافيد ريد (D.Ride): "التنشئة الاجتماعية هي العملية التي يتم بواسطتها إعداد الأفراد وتعويدهم على قواعد التصرف والسلوك داخل المجتمع." ^(٤)

- تعريف محمد النجحي: "التنشئة هي عملية تشكيل وإعداد أفراد في مجتمع معين، وفي زمان ومكان معين حتى يستطيعوا أن يكتسبوا المهارات والقيم والاتجاهات وأنماط السلوك

^١ - صالح محمد علي أبو جادو (٢٠٠٠): سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار المسيرة للنشر

والتوزيع والطباعة، عمان الأردن ط ٢. ص: ١٦، ١٧

^٢ -A. Percheron.(1974): L'univers politique des enfants, Paris, Armand Colin., P. 70

^٣ - Ibid. P: 71

^٤ - محي الدين مختار (١٩٩٨)، مرجع سابق، ص: ٢٦

المختلفة التي تيسر لهم عملية التعامل مع البيئة الاجتماعية والبيئة المادية التي ينشئون فيها".^(١)

نلاحظ من خلال التعاريف النفسية المعطاة للتنشئة الاجتماعية أنها تركز على أهمية كل من الدوافع والتوافق ودلالة التصورات وفق ما يتطلبه المجتمع والبيئة الاجتماعية والتي من خلالها يتعلم الفرد أن يوازن بين رغباته ومطالب واهتمامات الآخرين.

*التعريف النفس - اجتماعي للتنشئة الاجتماعية :

-تعريف "سيطو" Citau و"بيطريان" Bitrian : " التنشئة الاجتماعية هي مختلف تجارب التعلم الاجتماعي والتي من خلالها يعبر الطفل تدريجيا، مراحل نموه الشخصي. فهو يتعلم كيف يندمج مع عالمه الأسري استدخال المعطيات الأولى عن الأخلاق والثقافة، والتعرف على معايير وقيم المجتمع الذي يعيش فيه، أي التصرف وفق الأطر التي تفرضها التربية التي يتحصل عليها حتى يصبح عضوا كامل العضوية في الجماعة الاجتماعية".^(٢)

- تعريف كلاوسن Clausen: " التنشئة هي عملية التفاعل المتصل بين الفرد والآخرين الذين يؤثرون فيه ويؤثر فيهم".^(٣)

-تعريف هدى قناوى: "هي عملية استدخال ثقافة المجتمع في بناء الشخصية، فهي تدل على العمليات التي يتشرب بها الأنماط السلوكية التي تميز ثقافة مجتمعه عن ثقافة المجتمعات الأخرى".^(٤)

- تعريف حامد عبد السلام زهران: "هي عملية تعلم اجتماعي يتعلم فيها الفرد عن طريق التفاعل الاجتماعي وأدواره الاجتماعية ويتمثل ويكتسب المعايير الاجتماعية التي تحدد هذه

^١ - مواهب إبراهيم عياد (١٩٩٢) : نمو و تنشئة الطفل من الميلاد حتى السادسة، دار المعارف، الإسكندرية. ص: ٩

² - Citau. J, Bitrian. P(1999) : Introduction à la psychosociologie, concepts et études de cas , Paris Armand Colin, P. 104 .

^٣ - محي الدين مختار (١٩٩٨)، مرجع سابق، ص: ٢٦.

^٤ - محمد بيومي خليل (٢٠٠٠) : سيكولوجية العلاقات الأسرية .: دار قباء القاهرة،

مصر. ص: ٧٠.

الأدوار. فيكتسب الاتجاهات النفسية ويتعلم كيف يسلك بطريقة اجتماعية توافق عليها الجماعة ويرتضيها المجتمع".^(١)

- **تعريف مصطفى زيدان:** "تعمل التنشئة الاجتماعية على استمرار ثقافة المجتمع، بما توفره من أنماط اجتماعية عامة مقبولة يستجيب الأفراد في ضوئها لحاجاتهم البيولوجية والاجتماعية، فتعمل على إشباع حاجاتهم وهي تنتقل من جيل إلى جيل في المجتمع، وتتراكم نتيجة هذا الانتقال، ويكتسبها الفرد في سياق نموه وسط الجماعة".^(٢)

- **تعريف مختار حمزة:** "التنشئة الاجتماعية هي عملية تعلم وتعليم وتربية تقوم على التفاعل الاجتماعي وتهدف إلى اكتساب الفرد سلوك ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية وهي عملية دينامية تتضمن التفاعل والتغير. إن الفرد في تفاعله مع أفراد الجماعة يأخذ ويعطي فيما يختص بالمعايير والأدوار الاجتماعية والاتجاهات النفسية والشخصية الناتجة في النهاية هي نتيجة لهذا التفاعل".^(٣)

- **تعريف محمد سعيد فرح:** "التنشئة هي عملية تهدف إلى إدماج عناصر الثقافة في نسق الشخصية وهي مستمرة تبدأ من الميلاد داخل الأسرة وتستمر في المدرسة وتتأثر بجماعات الرفاق ونسق المهنة ومن ثم تستمر عملية التنشئة باتساع دائرة أنساق التفاعل وهي تسعى لتحقيق التكامل والتوحد مع العناصر الثقافية والاجتماعية".^(٤)

إن قراءة هذه التعاريف تجعلنا نستنتج أن مفاهيم التنشئة الاجتماعية من وجهة نظر نفس-اجتماعية تركز على التعلم الاجتماعي وتجاريه في مختلف مراحل الحياة، حيث يستدخل الفرد القيم والأخلاق؛ ويتعرف على المعايير، ويتصرف وفق الأطر التي يفرضها المجتمع، ومن جهة أخرى، فإن تعريف التنشئة الاجتماعية من هذا المنظور تحاول أن تشرك الفرد في عملية التفاعل والاتصال ولعب الأدوار وسط محيطه الاجتماعي.

^١ - نفس المرجع ، ص: ٧٠

^٢ - نفس المرجع ، ص: ٧٠

^٣ - مختار حمز: (١٩٧٩): : أسس علم النفس الاجتماعي. جدة : دار المجتمع العلمي ،

السعودية. ص: ١٧٣

^٤ - محمد سعيد فرح(٢٠٠٢): التنشئة الاجتماعية وسمات الشخصية ، دار الثقافة العلمية،

الإسكندرية، مصر. ص: ٢١

*التعريف الاجتماعي للتنشئة الاجتماعية :

-تعريف كلود دبار(Claude Dubar):"التنشئة الاجتماعية هي سيرورة متقطعة، غير مستمرة من البناء الجماعي للسلوكات الاجتماعية".^(١)

- تعريف فؤاد البهي السيد : " التنشئة الاجتماعية هي من أهم الوسائل التي يحافظ بها المجتمع على خصائصه، وعلى استمرار هذه الخصائص عبر الأجيال ".^(٢)

إن التعاريف الاجتماعية للتنشئة الاجتماعية تحاول أن تعطي بعدا كبيرا وأهمية بالغة للبناء الاجتماعي ونسقه، والتي يجب على الفرد الامتثال لها حتى يتمكن من المحافظة عليه وتمثيره للأجيال اللاحقة.

١-١-٣ مناقشة التعاريف:

تباينت تعاريف مفهوم التنشئة الاجتماعية باختلاف الإطار النظري للباحثين فيرى دافيد ريد أنها إعداد الفرد لقواعد السلوك ويعتبرها ميري تعليم الفرد التوفيق بين دوافعه ومطالب الآخرين. ويحدد" في روشي " ثلاث مظاهر أساسية للتنشئة الاجتماعية: ^(٣)

*اكتساب الثقافة: فالتنشئة الاجتماعية هي، قبل كل شيء صيرورة اكتساب لنماذج وقيم وطرق تفكير وفعل، أو بمعنى آخر هو اكتساب ثقافة اجتماعية موجودة في محيط اجتماعي معين. تتم صيرورة التنشئة مدى الحياة، وهي متقطعة وليست مستمرة تتخللها فترات حرجة كالدخول إلى عالم الشغل، وتغيير المهنة والبطالة والتقاعد...الخ.

إن التنشئة الاجتماعية هي سيرورة تعلم تفاعلي يفترض فيه وجود تفاوض دائم بين فاعل التنشئة والمنفعل لها، يؤدي إلى اتفاق بين حاجات ورغبات الفرد من جهة، وقيم مختلف الجماعات التي يتفاعل معها من جهة ثانية.

^١ - محمد بيومي خليل(٢٠٠٠)، مرجع سابق ص: ٧٠

^٢ - نفس المرجع ، ص: ٧٠

^٣ - بوفولة بوخميس (٢٠٠٤) : التربية الأسرية وأثرها في انحراف الأحداث ،مذكرة ماجستير غير منشورة ، قسم علم الاجتماع ، جامعة باجي مختار عنابة ص: ١٦

* دمج الثقافة في الشخصية: ليست التنشئة الاجتماعية مجرد نقل للقيم والمعايير والقواعد بل هي في الأساس، تكوين تصور عن العالم بواسطة تكوين "قانون رمزي" منسجم يشكل نسق مرجعي ومقيم للواقع. كما أن هذا النسق المرجعي يملئ السلوك ويفترض هذا اكتساب واستعمال اللغة التي هي بنية للعلامات والرموز التي تترجم التصورات العقلية للفرد، هذا التصور للعالم ليس مفروض من طرف المنشئين (الأولياء، الأسرة، المدرسة، المؤسسة، النقابة، الجمعية... الخ) وإنما كل فرد يكونه بنفسه تدريجيا مستعينا بعناصر لها تصورات موجودة سلفا، ويقدمها له المنشئون لكنه يعيد تفسيرها ويصيرها في كل جديد وفريد. ونفس الشيء نجده مع أنساق التصورات الآلية التي تسمح للفرد بالاستجابة بكيفية مقبولة في عدد معين من الوضعيات المعتادة. فكل فرد يطبعها بطابعه الشخصي حسب تجاربه وطموحاته وبفضل صيرورة الدمج تصبح العناصر الثقافية للوسط جزء لا يتجزأ من بنية شخصية، فيحس الفرد أنه هو مصدر الامتثال لتوقعات الوسط الاجتماعي وليس مجرد منفعل لتقل الضبط الاجتماعي أو الإلزام الذي يمارسه هذا الوسط. ولا يبقى هذا التصور عن العالم جامدا بل هو موضوع لإعادة ترتيب دوري بغرض الحفاظ على الانسجام مع المجتمع.

* التكيف مع المحيط الاجتماعي: التكيف هو النتيجة الأساسية للتنشئة الاجتماعية. فهي ليست مجرد صيرورة علاقة تفاعلية وإنما هي أيضا صيرورة انتماء للفرد عن طريقها يعلن انتمائه لجماعات أي يتعلم التفكير مثل الآخرين واكتساب نفس المعارف وقانون رمزي ولغة مشتركة، وتقاسم قيم وطموحات وأهداف ونشاطات. فنجاح التنشئة الاجتماعية يؤدي إلى الامتثال في كفايات الفعل والتفكير والإحساس بالقدر الذي يجعل الفرد قادرا على الاندماج والبقاء في وسط معين، وهذا يعني أن يكون قادرا على التكيف السوي مع التغيرات التي تحدث لهذا الوسط.

إن التنشئة الناجحة تساعد على المشاركة النشيطة للفرد في تطور وسطه بخلق علاقة جديدة، فالفرد ينتج اجتماعيا في نفس الوقت الذي يبني فيه ذاته ويكتسب هوية، فالدينامية الاجتماعية ودينامية الشخصية متلازمان ولا تنفصلان؛ ويعرض "سيطو" و"بيطريان" تعريفا نشوئيا إذ يربطان التنشئة بسلسلة الخبرات التي يكتسبها الفرد أثناء مختلف مراحل نموه. أما التعاريف الأخرى فتأخذ طابعا ثقافيا يتمثل في اكتساب ثقافة ولغة المجتمع، في حين أنها عند البعض تهدف إلى الحفاظ على خصائص المجتمع واستمرارها عبر الأجيال. فالفرد له

ما يكفي من الأشياء المشتركة مع الأعضاء الآخرين من هذه الجماعات كي يستطيع أن يتصل بهم ويشاركهم في بعض خواطرهم ومشاعرهم وتقاليدهم في آمالهم وحاجاتهم ونشاطاتهم وبصورة أفضل فهو يشبههم ليس فقط من الناحية الجسدية وإنما كذلك من الناحية العقلية والنفسية والاجتماعية. فالانتماء إلى مجتمع ما إنما يعني مشاركة الآخرين في كثير من الأفكار أو السمات العامة حتى أننا نجد دوافعنا في "نحن" ^(١) التي تكوّننا الجماعة ويعني ذلك التشبّه كثيرا بهذا "نحن" لكي نستمد منه جزءا على الأقل من هويتنا الخاصة النفسية والاجتماعية.

يمكننا في الأخير أن نصل إلى القول أن التنشئة الاجتماعية عملية جد معقدة تستهدف مهام كثيرة، ومن الأمور التي يمكن ملاحظتها في هذه العملية كما يرى صالح أبو جادو: "أنه مع نمو الأفراد وتقدم السن بهم يزدادون اختلافا وتباينا في سلوكهم كما وأن أبناء الثقافة الواحدة يتشابهون فيما بينهم في بعض الأنماط السلوكية ويختلفون عن أبناء الثقافات الأخرى". ^(٢)

١-٢ مفهوم الأسرة: تعد الأسرة من أشهر المفاهيم التي حظيت بالتناول والتحليل والتركيب مع مفاهيم أخرى، فهي اللبنة الأولى لتكون المجتمع بصلاحيها يصلح المجتمع وفسادها تتدهور القيم ويسود الانحراف وتتسع بؤرة الإجرام، سنحاول الإحاطة بهذا المفهوم من أبعاد مختلفة وفي سياقات مختلفة :

١-٢-١ التعريف النغوي لمفهوم الأسرة :

هي كلمة مشتقة من الأسر، وتعني الربط من الجلد وتسمى سير ^(٣). وتعني الدرع الحصينة، وأسره يأسره أسرا وإسارة بمعنى شده بالأسار، والأسار هو ما شد به، والجمع أسر. ولهذا تكون كلمة "الأسرة" قول يفيد الدرع الحصينة.

^١ - سلوى محمد عبد الباقي (بدون سنة): آفاق جديدة في علم النفس الاجتماعي ، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية ص: ٢٨.

^٢ - صالح محمد علي أبو جادو (٢٠٠٠)، مرجع سابق، ص: ١٩.

- حاتم محمد آدم (٢٠٠٣): الصحة النفسية للطفل، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ص: ٢١^٣

ويكون استعمالها للدلالة على أهل بيت الفرد لما يوجد بين المعنيين من تشابه متين، فإن الدرع الحصينة تقي صاحبها وتحفظه من كل خطر أو مكروه فإن الأسرة تحفظ المنتسب إليها وتمنعه من كل خطر وتجعله قويا.

والأصل اللغوي لمصطلح "الأسرة" قد يخص كل جماعة يربطها أمر مشترك، فإن المقصود من العرض السابق أن الأسرة تطلق على أفراد تربطهم علاقات القربى وتفرض عليهم مراكز وأدوار يشغلونها ويعيشون بشكل دائم نسبيا تحت سقف واحد.^(١)

* مفهوم الأسرة في القرآن الكريم :

جاء مفهوم الأسرة في القرآن الكريم في معان متعددة منها: أهلنا، أهله، أهلي، أهليكم وكلها معاني تهدف إلى كلمة: "الأهل"، وذكرت على طول القرآن الكريم ١٠٩ مرة^(٢) ومن أمثلة تلك الآيات التي تدلل على مفهوم الأسرة نذكر قوله عز وجل في كتابه الحكيم:

- "وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها" سورة طه الآية ١٣٢
- "...فاسلك فيها من كل زوجين وأهلك" سورة المؤمنون الآية ٢٧
- "وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله" سورة النساء الآية ٣٥
- "ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله" سورة فاطر الآية ٤٣
- "وينقلب إلى أهله مسرورا" سورة الانشقاق الآية ٩
- "وشهد شاهد من أهلها" سورة يوسف الآية ٢٦
- "بل ظننتم لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم" سورة الفتح الآية ١٢

١-٢-٢ التعريف الاصطلاحي لمفهوم الأسرة:

إن الأسرة هي الوحدة الأساس المكونة للبناء الاجتماعي إلا أن هذا المصطلح محل خلاف واختلاف حول مفهومه، ولا يوجد تعريفا واحدا يتفق عليه العلماء، ولذلك يعتبر مفهوم الأسرة من المصطلحات التي تخضع لتغيير الظروف ونمط القيم والثقافة السائدة في البيئة

^١ - عيسى بن حدوش (٢٠٠١): التغيرات الوظيفية في الأسرة. مطبوعات الكتاب والحكمة، باتنة، الجزائر، ص ٨ - ٩.

^٢ - محمد فؤاد عبد الباقي (١٩٩٦): المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة،

الاجتماعية، لذلك وضع علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا أهم التعريفات التي نذكر منها ما يلي:

- **تعريف ميردوك:** الأسرة هي جماعة اجتماعية تتميز بمكان إقامة مشترك وتعاون اقتصادي ووظيفة تكاثرية ويوجد بين اثنين من أعضائها على الأقل علاقة جنسية يعترف بها المجتمع، وتتكون الأسرة على الأقل من ذكر بالغ وأنثى بالغة وطفل سواء كان من نسلهما أو عن طريق التبني.^(١)

- **تعريف برغس ولوك:** حيث يعتبران أن الأسرة هي مجموعة من الأشخاص يرتبطون بروابط الزواج أو الدم أو التبني، فيكونون مسكناً مستقلاً ويتفاعلون في تواصل مع بعضهم البعض بأدوارهم الاجتماعية، المختصة كزوج وزوجة وأم وأب وابن وابنة وأخ وأخت الأسر الذي ينشأ لهم ثقافة مشتركة.^(٢)

- **ويعرفها أوجبرن ونيكسوف:** على أنها رابطة اجتماعية من زوج وزوجة وأطفالهما أو بدون أطفال أو من زوج بمفرده مع أطفاله، أو زوجة بمفردها مع أطفالها.

- **تعريف روبرت ماكيفر:** يرى أنها: " اتحاد بين اثنين رجل وامرأة وأولادهما " حيث يؤكد ماكيفر على أهمية رباط الاتحاد بين أفراد الأسرة وهو رباط يتضمن توحيد جهود الأسرة على قيام كل فرد من أفرادها بدوره الذي تحدده المجتمع به، وهو يصور مدى التفاعل المشترك المبني على تقاهم أعضاء أفرادها.^(٣)

- **يعرفها أوجيست كونت:** بأنها: " الخلية الأولى من جسم المجتمع، وأنها النقطة الأولى التي يبدأ منها التطور. وأنها الوسط الطبيعي والاجتماعي الذي ترعرع فيه الفرد.^(٤)

- عاطف وصيفي (١٩٩٦): الأنثروبولوجيا الاجتماعية. دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط

١، ص ٩١.

١ - صالح محمد علي أبو جادو (٢٠٠٢): سيكولوجية التنشئة الاجتماعية. دار مسيرة، عمان

الأزرن، ط ٢، ص ٢١٨.

٣ - دعيس، محمد يسري إبراهيم (١٩٩٧)، التربية الأسرية وتنمية المجتمع. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ص: ٥٥

٤ - عيسى بن حدوش، مرجع سابق. ص ١٠.

ويعرفها أوجبرن ونيمكوف: هي عبارة عن منظمة دائمة نسيباً تتكون من زوج وزوجة مع أطفال أودونهم، وتربط هؤلاء علاقات قوية متماسكة تعتمد على أواصر الدم والمصاهرة والتبني والمصير المشترك.^(١)

- **تعريف بل وفوجل:** فيعرفان الأسرة بأنها الوحدة البنائية المكونة من رجل وامرأة يرتبطان مع أطفالهما بطريقة منظمة اجتماعياً سواء كان هؤلاء الأطفال من صلبهما أو عن طريق التبني.^(٢)

- **تعريف كريستيان:** عرف الأسرة بأنها عبارة عن مجموعة من المكانات والأدوار المكتسبة بالزواج أو الولادة، ويفرق بين الزواج والأسرة من حيث أن الزواج عبارة عن تزواج منظم بين الرجال والنساء، في حين أن الأسرة عبارة عن الزوج مضاف إليه إنجاب.^(٣) وفي اعتقاد عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم أن الأسرة ليست ذلك التجمع الطبيعي للأبوين وما ينبجانه من أولاد بل إنها مؤسسة اجتماعية تتكون لأسباب اجتماعية، ويرتبط أعضائها حقوقياً وخلقياً ببعضهم البعض.^(٤)

في اعتقاد العالم الاجتماعي الفرنسي هنري مندراس H.Menderas: "أن ليس للأسرة معنى واضح في اللغة الفرنسية. حيث يشير هذا المصطلح إلى الأشخاص (الأب، الأم، الأبناء) المرتبطين معا بروابط الدم فإننا نعني بكلمة "أسرة" الأشخاص الذين يعيشون معا في منزل واحد.^(٥)

ويعرفهما بعض علماء الاجتماع العرب أمثال:

- **مصطفى الخشاب:** بأنها "الجماعة الإنسانية التنظيمية المكلفة بواجب استقرار وتطور المجتمع، باعتبارها جماعة بشرية تتصف بقواعد التنظيم ويظهر على شكل الأدوار الموكل

^١ نفس المرجع ص ١٠.

^٢ نفس المرجع ص ١١.

^٣ عيسى بن حدوش، مرجع سابق. ص ١٢.

^٤ - نفس المرجع ص ١٢.

^٥ - نفس المرجع ص ١٣.

بها كل فرد من أفرادها. كما أنها تقع عليها عبئ مسؤولية استقرار الحياة الاجتماعية التي يعتمد عليها المجتمع لتطويرة ونموه.^(١)

- عاطف غيث: يرى الأسرة جماعة اجتماعية بيولوجية نظامية تتكون من رجل وامرأة (يقوم بينهما رابطة زوجية مقررة) وأبنائها.^(٢)

من الملاحظ في التعاريف السابقة أنها تنظر إلى الأسرة نظرة جزئية، فبعضها تركز على الجانب الاجتماعي لأنها تهدف إلى المحافظة على النوع الإنساني كتعريف دوركايم، وأخرى تهتم بالجانب الثقافي في الأسرة، لأنها هي البيئة الملائمة للعب الأدوار والتنشئة وتوجيه الأبناء. ويركز اتجاه آخر على الطابع النظامي للأسرة باعتبارها مؤسسة تقوم بوظائف مجتمعية حيوية ودينامية.

وبغض النظر عن كل التعاريف فإن الأسرة موجودة عبر التاريخ في أشكال مختلفة وهي ضرورة عالمية بقيامها بعدد من الوظائف المحافظة على استمرار الحياة الاجتماعية.^(٣)

١-٣ مفهوم أساليب التربية

١-٣-١ مفهوم أساليب التربية لغة

قبل تقديم تعاريف عن "أساليب التربية" لابد أن نقوم أولاً بتقديم تعاريف لكلمة "أسلوب" ثم بعد ذلك نقدم تعريفاً "للأساليب التربوية".
* الأسلوب:

يقال في الفرنسية "Style" وفي الإنجليزية "Style" وقد جاءت هذه الكلمة من الكلمة اللاتينية "Stillus" وتعني "مخز (متقّب) للكتابة على الشمع".^(٤)
ومن أهم تعاريف مفهوم "الأسلوب" نجد:

* تعريف جون دوقيه (Jean Dugié, 1995):

^١ - ديس محمد يسري، مرجع سابق، ص ٨.

^٢ - مراد زعيبي (٢٠٠٧): مؤسسة التنشئة الاجتماعية. دار قرطبة، المحمدية، الجزائر، ط ١، ص ٥٨.

^٣ عيسى بن حدوش: مرجع سابق. ص ص ١٤ - ١٥.

^٤ - بوفولة بوخميس (٢٠١٠): أنساق القيم وتصورات الأحداث الجانحين لأساليب التربية الوالدية، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم علم الاجتماع، جامعة عنابة، ص: ٤٧.

الأسلوب هو "الطريقة الفردية في اختيار وترتيب الجمل والكلمات والصور، وهو أيضا نشاط العقل الذي يعبر بهذا الشكل وهو الأشكال الجمالية المميزة لفترة أو مكان معين، وهو الطريقة الشخصية للفنان وهو طريقة التصرف، وأسلوب الحياة".^(١)

* تعريف "ر. شماما" و"ب. واندرمارش":

الأسلوب حسبهما هو: "الطابع المتفرد للمجريات التي يمكن لفنان أو مجموعة فنانين أن يعطوها لأشكال فنية أو بلاغية".^(٢)

* تعريف "أوسوالد ديكرت" و"جون ماري شافار" (O. Ducrot, J-M. Schaeffer)

الأسلوب هو: "ناتج عن تنظيم لاختيارات على كل خطاب أن يجريها ضمن عدد من الإمكانيات المتضمنة في اللغة والتغيرات التي يحدثها بالنسبة لهذه الإمكانيات".^(٣)

١-٣-٢ مفهوم أساليب التربية الوالدية: أنماط التربية الأسرية أو بالأحرى أساليب التربية الوالدية ترتبط ارتباطا وثيقا بطرق تلقين الفرد مقومات المجتمع وخصائصه، وهي الوسيلة التي من خلالها يتم تعلم سبل الاتصال والتفاعل والتوصل مع الآخرين، ونظرا لما لهذا العنصر من أهمية في تنشئة الفرد ارتأينا أن نبحث في ماهيته.

أساليب التربية الوالدية هي الطرق التي يتبعها الأولياء لتربية أولادهم وبناتهم وتتعدد هذه الطرق باختلاف ثقافة وشخصية الأولياء، كما تعبر أيضا على استمرارية أسلوب معين أو مجموعة من الأساليب المتبعة في تنشئة الطفل وتربيته، ويكون لها الأثر في تشكيل شخصيته، وهي تنقسم إلى أساليب سوية وتشمل (الديمقراطية، تحقيق الأمن النفسي للطفل) وأساليب غير سوية وتشمل (الحماية الزائدة، التسلط، الإهمال).^(٤)

(1) – N. Baraquin et al., (2005): **Dictionnaire de philosophie**. 3^{ème} éd. Paris : Armand Colin, P. 306.

(2) – R. Chemama, B. Vandermersch (sous la direction), (1998): **Dictionnaire de la psychanalyse**. Paris : Larousse -Bordas, P. 408.

(3) – O. Ducrot, H-M. Schaeffer, (1995): **Nouveau dictionnaire encyclopédique des sciences du langage**. 2^{ème} éd, paris : Edition du SEUIL, P. 654.

٤- موسى نجيب موسى (٢٠٠٣): أساليب المعاملة الوالدية للأطفال الموهوبين، دراسة مطبقة على مركز سوزن مبارك الاستكشافي للعلوم، لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان ، مصر، ص: ١١

كما يشير أيضا إلى: "الأساليب العديدة التي يأخذها الآباء في اعتبارهم للعمل على تنمية السلوكات الايجابية لأبنائهم" حيث يتحدد الأسلوب أو الأساليب في الإجراءات التي يتبعها الوالدان في تطبيع وتنشئة أبنائهما اجتماعيا، أي تحويلهم من مجرد كائنات بيولوجية إلى كائنات اجتماعية، وما يعتقاه من اتجاهات توجه سلوكهم في هذا المجال.^(١)

* **تعريف ديانا بومريند: D.Boumring** ترى أن أساليب التربية الوالدية أربعة أنماط هي: الأسلوب الرسمي الديمقراطي، الأسلوب الفاشستي المتسلط المنحيز، أسلوب الاختيار الحر، وأسلوب الرفض. وفي المقابل عرضت ثلاث أساليب سلوكية للأطفال مقابل أساليب الآباء وهي :

- ودود ----- فعال

- منازع ----- سريع الغضب

- مندفع ----- عدواني

* **تعريف محمد يسري:** يعرفها بكونها: "الجهد التربوي عن طريق الأسرة بقصد تغيير وتنمية اتجاهات وقيم جديدة للفرد بجعله أكثر قدرة على فهم طبيعة الحياة داخل الأسرة".^(٢)

* **تعريف فاطمة الكنانى:** تشير فاطمة في تعريفها لأساليب التربية الوالدية إلى كونها: "تلك الممارسات الوالدية وارتباطاتها بأي مظهر من مظاهر الشخصية سواء النفسية أو الاجتماعية، فهناك اتجاهها والديا يؤدي إلى النمو في اتجاه إيجابي اعتبر سويا، وهناك مجموعة من الأساليب الوالدية تؤدي إلى النمو في اتجاه سلبي واعتبرت غير سوية".^(٣)

* **تعريف ميشل ارجايل M.Argail:** هي تلك الأساليب التي يساهم بها الوالدين في تنشئة أبنائهم، وهي أساليب متعددة مثل: العلاقات المبكرة مع الأم، أساليب التغذية المبكرة، التدريب على الإخراج، الدفاء، التقبل، التزمت مقابل التساهل".^(٤)

^١ - هدى محمد قناوي (١٩٨٣): سيكولوجية الطفولة والمرهقة، القاهرة: مكتبة مصر، ص: ٨٣

^٢ - موسى نجيب موسى (٢٠٠٣)، مرجع سابق، ص: ١٢

^٣ - هدى محمد قناوي (١٩٨٣): مرجع سابق، ص: ٨٣

^٤ - ميشل ارجايل (١٩٨٢): علم النفس ومشكلات الحياة الاجتماعية، ترجمة عبد الستار ابراهيم،

القاهرة: مكتبة مدبولي، ص ص: ١٨٤

وقد حاول هذا العالم أن يسلط الضوء على الممارسات التي يتبعها الوالدين في تطبيع واكتساب أبنائهم أنواع السلوك المختلفة من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، وتكون هذه الإجراءات والممارسات الوالدية ذات طبيعة خاصة عندما يقوم بها الوالدين في تعاملهم مع أطفالهم.

وفيما يلي نقدم تصنيفاً لأهم الأساليب التربوية الوالدية وهي:

أ- الأسلوب التربوي السلطوي (Style autoritaire):

حسب ديانا بومريند (١٩٦٧) هو أحد الأساليب التربوية الثلاثة، ويتميز بمستوى مرتفع من التأديب والمتطلبات ومستوى ضعيف من العاطفة والاتصال.^(١) وترى زينب محمد شقير بأنه: " فرض الوالد أو الوالدة لرأيه على الطفل ويتضمن ذلك الوقوف أمام رغبات الطفل التلقائية أو منعه من القيام بسلوك معين ".^(٢) وهناك من يتحدث عن "أسلوب القسوة" والذي تعرفه زينب محمد شقير بأنه: "استخدام أساليب العقاب البدني كالضرب والتهديد والحرمان مما يؤدي إلى إثارة الألم الجسدي".^(٣)

وهناك من يتحدث عن أسلوب الرفض (عدم التقبل) والذي تعرفه زينب محمد شقير بأنه: "اتجاه أحد الوالدين أو كليهما نحو كراهية طفليهم مما يؤدي إلى عدم إشباع احتياجات الطفل للحنو والانتماء".^(٤)

ب- الأسلوب التربوي الديمقراطي (Style démocratique):

حسب "بومريند" هو: "أحد الأساليب التربوية الثلاثة، ويتميز بمستوى مرتفع في التأديب، والدفع، والمتطلبات، والاتصال،، هذا الأسلوب مشبع بالأبعاد الأربعة (العاطفة، التربية، الاتصال والمتطلبات)".^(١)

^(١) – Bee H.(1997): **Psychologie du développement, les âges de la vie.** (adaptation : François Gosselin, avec la participation de François Gilean). Paris-Bruxelles : De Boeck et Larcier s.a, P. 153.

^٢ – زينب محمد شقير (٢٠٠١): **الباثولوجيا الاجتماعية والمشكلات المعاصرة.** مكتبة الأنجلو

المصرية، القاهرة، ص: ٩٩

^٣ – نفس المرجع، ص: ٩٩.

^(٤) – نفس المرجع، ص. ١٠١.

ج- الأسلوب التربوي المتسامح (Style permissif):

حسب "بومريند" هو: "أحد الأساليب التربوية الثلاثة ويتميز بمستوى مرتفع من العاطفة ومستوى منخفض من التأديب، والمتطلبات، والاتصال".^(٢)

وهناك من الباحثين من يسمي هذا الأسلوب بـ "التدليل" حيث تعرفه زينب محمد شقير بأنه: "تشجيع الطفل على تحقيق رغباته بالشكل الذي يحلو له، مع عدم توجيهه لتحمل أي مسؤوليات تناسب مع مرحلة النمو التي يمر بها".^(٣)

د- الأسلوب التربوي اللاملتزم أو اللامبالئي (Style désengagé ou indifférent):

يعرفه "اليانور ماكوبي" و"جون مارتين" (Eleanor Maccoby, John Martin, 1983) بأنه: أسلوب في التربية يتميز بلامبالاة الأولياء وغياب السند الملائم للطفل".^(٤)

١-٣-٣ مناقشة التعاريف: نلاحظ من خلال هذه التعاريف أن العلماء حاولوا تقديم مفهوم مفاهيم تصنيفية لأساليب التربية المعتمدة من قبل الأولياء في تربية أبنائهم حيث عمدوا إلى تقديم تعاريف لهذه الأساليب مبنية على التصنيفات المقترحة فيما يتعلق بأساليب التربية الوالدية، فنجد أنها تتراوح ما بين الأسلوب الديمقراطي والمتسامح والتسلطي أو تندرج ضمن الأسلوب اللاملتزم والملتزم.

١-٤-٤ مفهوم القيم: القيم من المصطلحات التي تتعدد معانيها من الناحية اللغوية كالاستقامة والاهتمام أو الأهمية والقوة، كما أن القيم يتعذر تعريفها إجرائياً لأنه لو أمكن ذلك لما وجد خلاف في القيم خاصة على المستوى الثقافي.

١-٤-١ مفهوم القيم لغة:

القيم مفردة، وقوم السلعة تقويماً، والاستقامة تعني الاعتدال، يُقال استقام له الأمر وقوم الشيء تقويماً فهو قويم أي مستقيم.

وورد في قاموس المنجد في اللغة والإعلام تعريفاً للقيم وهي "كل ذي قيمة أو هي الثمن الذي يعادل البيع".^(١)

(1) - H. Bee, Op.Cit, PP. 153, 155.

(2) - Ibid, P. 155.

(٣) - زينب محمد شقير، مرجع سابق، ص. ٩٩.

(4) - H. Bee, Op.Cit, P. 155.

القيمة في المعجم الوجيز هي قدر الشيء، وقيمة المتاع ثمنه، وهي مفرد جمعه قيم، ويشير المعنى الاشتقاقي للقيمة إلى أصل الشيء.

والقيمة مصطلح عربي يقابله المصطلح الفرنسي Value ومعناه "قوي" أي أنه يشتمل على معنى المقاومة والصلابة وعدم الخضوع للتأثيرات، وأيضاً تتطوي على معنى التأثير في الأشياء والقدرة على ترك بصمات قوية عليها.^(١)

وجاء في لسان العرب: أن القيمة واحدة جمعها القيم، وهي ثمن الشيء والتي تقوم مقامه.^(٢) معنى ذلك أن معنى القيمة في اللغة هي قدر الشيء ومدى فاعليته وتأثيره في الأشياء والأشخاص.

*القيم في القرآن الكريم:

ورد مصطلح القيم في القرآن الكريم في صيغ مختلفة منها: قيما، قيمة، قواما وذكر ١ مرة،^(٣) ومن أمثلة تلك الآيات التي تدلل على مفهوم الأسرة، نذكر قوله عز وجل في كتابه الحكيم:

- "ذلك الدين القيم" سورة التوبة، الآية ٣٦
 - " فأقم وجهك للدين القيم " سورة الروم الآية ٤٣
 - "ذلك دين القيمة" سورة البينة الآية ٥
 - قل إني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً"سورة الأنعام، الآية ١٦١
- فالقيم في الشريعة الإسلامية تلتزم بما أصدرت الشريعة، فالرؤية الإسلامية للإنسان ترى أن أعمال هذا الأخير ليست هدفاً في حد ذاتها بل ترتبط بالله عز وجل وتتجه نحو مرضاته، فكل التعريفات المتعلقة بالقيم جعلت من الفرد والمجتمع مصادر للقيم، ويحكم عليها حسب منفعتها الآتية أو ضررها الآتي، بغض النظر عن الخير والشر فيها، غير أن منهج الحياة لدى المسلم المتبع لشريعة الله عز وجل يستند إلى التصور الإسلامي الذي يتضمن توجيهات

^١ - المنجد في اللغة والإعلام (١٩٩٤)، دار النشر الأهلية، بيروت، ص: ٦٦٤

^٢ - أحمد حسين الصغير حسن (١٩٩١): القيم التربوية في بعض الحكايات الشعبية، رسالة

ماجستير غير منشورة، جامعة أسيوط، كلية التربية، مصر، ص: ٢٤

^٣ - ابن منظور (١٩٥٦): لسان العرب، مجلد ١٢، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ص: ٥٠٠

^٤ - محمد فوز عبد الباقي (١٩٩٦)، مرجع سابق، ص: ٦٨٦

إلهية لكل من الفرد والجماعة في كافة جوانب الحياة، وعلى الفرد والجماعة الانصياع لتلك التوجيهات والالتزام بها في السلوك بشتى أشكاله ومظاهره.

فالشرعية الإسلامية تعني بالقيمة المعنوية والاتجاه والاهتمام والطموح الذي يملأ على الفرد قلبه وعقله، وتمثل المحرك الأساسي لما يصدر عنه من أفكار وأقوال وأعمال.

والقيم في الإسلام هي المنظم الأساسي لطريقة حياة الفرد، ومن ثم آخرته، ويتحدد مصير الفرد في الآخرة على مقدار ما يعتقد ويعمل به من هذه القيم.

أما في الحديث النبوي الشريف فقد حث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على التمسك بالقيم ودعا إلى العمل بالقيم الجيدة التي تخدم المجتمع، ويمكن أن نستشف ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: " أقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا " أي أكثركم تمسكا وتمثلا بالقيم، وقوله في موضع آخر: " أنقل ما يكون في ميزان العبد يوم القيامة حسن الخلق " أي ما يقوم به ويعمل به من قيم كما وكيفا. (١)

١-٤-٢ مفهوم القيم اصطلاحاً:

حضي مفهوم القيم باهتمام الكثير من العلماء والباحثين على اختلاف مشاربهم العلمية واتجاهاتهم الفكرية، فنجد هذا المفهوم أكثر وروداً في مجالات مختلفة منها: علم النفس، التربية، الفلسفة، الاقتصاد، علم الاجتماع... الخ، سنورد تعاريف بعض العلماء للقيم على اختلاف اتجاهاتهم فيما يلي :

*التعريف الاجتماعي للقيم:

يرتبط مفهوم القيمة في علم الاجتماع بالمنفعة والاعتقاد، القيم تمثل جانباً رئيسياً من ثقافة أي مجتمع، بل يمكن القول أنها تمثل الثقافة وجوهرها وأن القيمة يمكن أن تحدد وتنظم السلوك الاجتماعي لكافة أفراد المجتمع، ولهذا فإن للقيمة في نظر علماء الاجتماع معنى آخر يتفق مع وجهة نظرهم بأن الشيء في ذاته لا يوصف بأنه قيم أو عديم القيمة، بل نحن الذين نضفي عليه هذه الصفة أو تلك، بحسب احتياجاتنا له، وعلى ذلك فالقيمة في نظرهم هي الاعتقاد بأن شيئاً ما ذو قدرة على إشباع رغبة إنسانية، وهي صفة للشيء نفسه أو هي

^١ - إبراهيم رمضان الديب (٢٠٠٧): أسس ومهارات بناء القيم التربوية، مؤسسة أم القرى، المنصورة،

نوع من الاهتمام أو الاختيار أو التفضيل يشعر معه صاحبه أن له مبرراته الخلقية أو العقلية أو الجمالية، أو كل هذه مجتمعة، بناءً على المعايير التي تعلمها من الجماعة ووعاها في خبرات حياته نتيجة عمليات الثواب والعقاب والتوحد مع الغير.

وفيما يلي تقديم لبعض تعاريف العلماء للقيم:

- **تعريف كلوكهن Klokhon للقيم:** قدم تصنيفاً للقيم على أساس درجة انتشارها في المجتمع، حيث قسمها إلى فئتين رئيسيتين: الأولى قيم عامة في المجتمع والثانية قيم خاصة بجماعة معينة.

- **تعريف نيلسون Nelson للقيم:** قدم تصنيفاً آخر للقيم على أساس ارتباطها بالبناء الاجتماعي، حيث قسمها إلى فئتين: قيم تقليدية، وأخرى عقلية، والشئ نفسه فعله روبرت رافيلد R.Rafield عندما ميز بين القيم على أساس نوع المجتمع إلى قيم خاصة بالمجتمع الشعبي القديم، وهو الذي تسوده القيم التقليدية، وقيم خاصة بالمجتمع الحضري الذي تسوده القيم العصرية.^(١)

- **تعريف عاطف غيث للقيم:** يرى عاطف غيث أن القيم هي الصفات الشخصية التي بفضلها أو يرغب فيها الناس بثقافة معينة.^(٢)

ويؤكد أيضاً عاطف غيث أن القيم توجه اختيار الأشياء والسلوك، ودراستها لا بد أن تنطوي على تحليل الاتجاهات والسلوك والتفاعل والبناء الاجتماعي.^(٣)

وترتبط القيم عند علماء الاجتماع بقدرة شيء ما على إشباع رغبة إنسانية، وهي صفة الشئ التي تجعله ذا أهمية لفرد أو لجماعة.^(٤)

- **تعريف كوهلر E.Köhler للقيم:** يجعل مصطلح القيمة مرادفاً لمصطلح نافع.

^١ - عبد اللطيف خليفة (١٩٩٢): ارتقاء القيم، في مجلة عالم المعرفة عدد ١٦٠، المجلس الوطني

للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص: ٤٠

^٢ - محمد عاطف غيث (١٩٦٧): علم الاجتماع، دار المعارف، الإسكندرية، ص: ٢٠

^٣ - محمد عاطف غيث (١٩٧٩): قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،

ص: ٥٠٤

^٤ - فايز شيلدون وآخرون (١٩٩٥): قاموس علم الاجتماع، ترجمة أحمد محمد حسن مرعي، دار

المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص: ٤٢

- تعريف روكيش Rokeach للقيم: يرى أن القيمة هي الاعتقاد الثابت بأفضلية نموذج سلوكي معين أو غاية من غايات الوجود على المستوى الشخصي أو الجماعي.^(١)

- القيم عند العالم دوركايم Durkheim: يرى أن القيم مفروضة على الطفل والجماعة وأن المجتمع هو مصدر القيم والأخلاقيات والفرد يتبعها ليحافظ على تماسك المجتمع وكيانه، وأن على المربين الاعتماد في اكتساب القيم على خاصيتين هما:

- قبول الأطفال للتقاليد.

- استعداد الأطفال للإحياء.

- تعريف نوبس (1980) Nobbs: القيم حسبها هي مجموعة من المبادئ والضوابط السلوكية الأخلاقية التي تحدد تصرفات الأفراد والمجتمعات ضمن مسارات معينة، إذ تصبها في قالب ينسجم مع عادات وتقاليد وأعراف المجتمع.^(٢)

القيمة مجموعة من أحكام يصدرها الفرد وبيئته الاجتماعية والإنسانية والمادية، وهي في بعض جوانبها ناتجة عن تقويم الفرد أو تقديره لأنها في حقيقتها نتاج استوعبه الفرد وتقبله، بحيث يستخدمها كمحكات أو معايير، وهي من الناحية الإجرائية عبارة عن مجموعة من استجابات.

يؤكد علماء الاجتماع أن القيمة تعتبر حقائق أساسية مهمة في البناء الاجتماعي، وهي بذلك تعالج على أنها عناصر بنائية تُشتق أساسا من التفاعل الاجتماعي، وأن المجتمع وما فيه من قيم وعادات وتقاليد وتشريع سماوي هو المصدر الرئيسي للقيم، وأنها تكتسب بدون إرادة الطفل، حتى إذا ما وصل الطفل إلى سن معينة يدرك فيه آثارها، فيأتي قيما معينة ليتوافق مع الجماعة، ثم في مرحلة الشباب القيم تصبح انعكاسا لفهمهم أهمية القيم. ومن أمثلة القيم كما يراها علماء الاجتماع: الدين والأخلاق، القانون... الخ وكلها ظواهر اجتماعية توجد

^١- نورمان منير حسن فهمي (١٩٩٩): القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية،

المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ص: ٣٢

^٢- بوفلجة غياث (٢٠٠٣): القيم الثقافية والتسيير، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران،

الجزائر، ط٢، ص: ١٤

كأشياء وترتبط بحياتنا اليومية،^(١) وتعتمد على التجربة ولا يمكن أن تنفصل عن الحياة بل تعلو عليها وتسمو على الواقع لتكتسب الموضوعية والعمومية.

* **التعريف النفس اجتماعي للقيمة** : القيم في علم النفس الاجتماعي تستعمل للدلالة على ما يخدم كهدف عام في مجال مجموعة شاملة لعدد من الاتجاهات والاهتمامات والرغبات. وفيما يلي تقديم لبعض تعاريف علماء النفس الاجتماعي للقيم:

- **تعريف فؤاد بهي السيد للقيمة**: يرى أن القيمة عبارة عن معايير اجتماعية توزن بها الأفعال، إلا أنها من وجهة نظره ذات صبغة انفعالية تتصل من قريب أو من بعيد بالمستويات الخلقية التي تقدمها الجماعة ويمتصها الفرد من بيئته الاجتماعية وبقيم بها موازين يزن بها الأفعال.^(٢)

- **تعريف نيوكومب Newcomb** : يعرف القيم على أنها تدل على ما يخدم كهدف مشترك تنتظم حوله مجموعة من الاتجاهات. فرفاهية الطفل قيمة تنتظم حولها اتجاهات الأم نحو موضوعات شتى مثل قوانين رعاية الطفولة.^(٣)

- **تعريف ماكيني Macynie**: يعني ماكيني بالقيمة مفهوما يأتي من خلال الارتباط بين مجموعة معينة من الاتجاهات، كقيم المساواة التي تتحدد من خلال اتجاهات الفرد حيال الأقليات والجماعات العنصرية والفقراء والتمييز العنصري في المدارس وعلى هذا فإن تحليلها عاما لمجموعة من الاتجاهات إنما يفضي في رأيه إلى مجموعة من القيم.^(٤)

- **تعريف كليد كلاهون K.Klukhehn**: يرى أن القيم تصور محكم أو مختلط عن الموضوع المرغوب فيه، ويخص فردا أو جماعة ويتحكم في اختيار أساليب الفعل ووسائله وغاياته، وتتوأم القيمة كبناء منطقي مع الثقافة والبناء الاجتماعي.^(٥)

^١ - صبري خالد عثمان (٢٠٠٨): القيم التربوية في شعر الأطفال، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ص ١٧٢.

^٢ - فؤاد بهي السيد (١٩٨٥): علم النفس الاجتماعي، دار الفكر، القاهرة، ص: ٢٣٥.

^٣ - صبري خالد عثمان (٢٠٠٨)، مرجع سابق، ص: ١٥٥.

^٤ - كمال التابعي (١٩٨٥): الاتجاهات المعاصرة في دراسة القيم، دار المعارف، القاهرة، ص: ٢٩.

^٥ - صبري خالد عثمان (٢٠٠٨)، مرجع سابق، ص: ١٥٨.

- **تعريف خلف نصار محسن:** يرى أن القيمة مفهوم مما يعتبر مرغوبا أو غير مرغوب من الأهداف ومعايير الحكم، وأن ما يحدد المرغوب هو معنى التنبيه ودلالته وليس التنبيه لذاته، وقد تكون ضمنية يستدل عليها من نتائج السلوك، أو صريحة حين يُشار صراحة بشكل مباشر إلى أهداف أو معيار حكم يكون مرغوبا فيه أو مرغوبا عنه.^(١)

- **تعريف روكنيس Rocnis:** يرى أن القيمة ما هي إلا اعتقاد على درجة عالية من الثبات والدوام على المستوى الفردي أو الجماعي.

- **تعريف كولون Colone:** هي لفظ يستعمل ليدل على بعض القواعد والسنن التي خلدها الزمن، وتعطي معيارا يمكن الناس من تنظيم مرمى جنوح رغباتهم إزاء الموضوعات المرغوب فيها، بحيث يستطيع الناس أن يضعوا عن ثقة الأشياء والأفعال وأساليب الحياة وما إلى ذلك موضوع الاستحسان أو الاستهجان أو القبول، ومن ثم تبدو استجاباتهم للموضوعات المرغوب فيها دلالات للقيم المكتسبة والتي تعكس ثقافة المجتمع.^(٢)

- **تعريف إبراهيم كاظم:** مقياس أو مستوى أو معيار نستهدفه في سلوكنا ونسلم بأنه مرغوب فيه أو مرغوب عنه.^(٣)

نلاحظ من خلال التعاريف السابقة على أن القيمة قوة محركة لسلوك الفرد وهي التي توجهه وجهة دون أخرى، فالفرد يكتسبها من المجتمع الذي يعيش فيه ويظهر وكأنها خاصة به، فهي مرجعه في الحكم على الجمال والقبح والخير والشر.

حسب هؤلاء العلماء فإن القيمة قوة دافع للإنسان ليختار ما يتلاءم مع طبيعة القيم المكتسبة من خلال التجارب التي مر بها الإنسان في مجتمعه، فالقيمة تتطوي من خلال التعاريف التي ترى بأنها رغبات على تساؤلات حول الخير والشر، والمرغوب فيه والمرغوب عنه. ومنهم من يعرفها على أنها اعتقاد في شيء له صفة الثبات والاستقرار عند من يؤمن به.

^١ - نفس المرجع، ص: ١٩٥

^٢ - أحمد مختار مكي (١٩٩٩): القيم الخلقية والسياسية في قصص صحافة الأطفال، رسالة

ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أسيوط، مصر، ص: ٣٣

^٣ - محمد إبراهيم كاظم (١٩٨٦): تطورات في قيم الطلبة، الأنجلو المصرية، القاهرة، ص: ١٤

* **التعريف النفسي للقيم:** اختلفت نظرة علماء النفس عن بعض العلماء في تعريفهم للقيم حيث كان تركيزهم منصب على دراسة قيم الفرد ومحدداته سواء كانت نفسية أو اجتماعية أو جسمية. وفيما يلي تقديم لبعض تعاريف العلماء للقيم:

- **القيم عند كانترل Cantril:** هي مجموعة من الاتجاهات التقويمية فقط لوجود العلاقة بين العمليات النفسية مثل الإدراك والشعور، وبين السلوك الخارجي للفرد.^(١)

- **القيم عند ثونديك Thorndike:** يؤكد أن القيمة تقضيات تكمن في اللذة والألم والارتياح وعدم الارتياح الذي يشعر به الإنسان، فإذا كان حدوث الشيء لا يؤثر إطلاقاً في اللذة أو الألم لأي فرد كان حالياً أو مستقبلياً فإنه يكون عديم القيمة على الإطلاق.^(٢)

- **القيم عند ستانجر Stanger:** يربط ستانجر بين القيمة والاتجاه وعنده لا فرق بينهما إلا من حيث الشدة، فهو يرى أن القيمة مصطلح نستخدمه للدلالة على نوع من الاتجاهات، لكنها أكثر تعميماً ولا تختلف عنها إلا من حيث الشدة والعمق.

- **القيم عند نيوكومب Newcomb:** الذي يرى أن القيمة هدف عام ضمن مجموعة من أهداف أعم.^(٣)

- **القيم عند عماد الدين سلطان:** هي إشباع الفرد لحاجاته الأساسية التي يرغبها وذلك من خلال سلوك معين.

- **القيم عند ماسلو Maslow:** مفهوم القيمة مكافئ عنده لمفهوم الحاجة وهي: " حالة عقلية وجدانية يؤمن بها الفرد ويعتز بها ويتبناها، ولها امتدادها وأثرها الطبيعي في طريقة تفكيره وسلوكه ".^(٤)

- **القيم عند بنجستون Bengston:** يرى أنها تؤثر في سلوك الفرد وتؤدي إلى اختيار بديل آخر، فهي تعتبر في نظره كدافع، لكن هذا لا يعني أن كل الدوافع تُعد قيماً.

^١ - خزر عبد الحميد (٢٠٠٦)، مرجع سابق، ص: ٢٢

^٢ - نفس المرجع ، ص: ٢٢

^٣ - نفس المرجع ، ص: ٢١

^٤ - نفس المرجع ، ص: ٤٢

- القيم عند مصطفى سوييف: في إطار معالجته لموضوع الاتجاهات يرى أن القيم تقدم المضمون للاتجاهات، فالاتجاهات تمثل شكلا له طابع تجريدي والقيم تحديد هذا الشكل وفحواه.^(١)

- القيم عند محمد قمير: يعرف القيم على أنها معتقدات عامة راسخة تملي على الإنسان في مجتمع بشري مترابط اختيارات سلوكية ثابتة من مواقف اجتماعية متماثلة.

- تعريف عبد المعطي محمد للقيم: يعتبرها مستوى أو معيار للمفاضلة والانتقاء من بدائل وإمكانات اجتماعية أمام الشخص في المواقف الاجتماعية، بقصد تحقيق مصالح وأهداف معينة ترتبط بالوضع الاجتماعي لهذا الشخص.^(٢)

- تعريف حامد زهران للقيم: يعتبرها تنظيمات لأحكام عملية انفعالية مهمة نحو المعاني الأشخاص والأشياء وأوجه النشاط، كما أنها موضوع للاتجاهات وتعبير عن دوافع الإنسان.

- تعريف عبد السلام الغفار للقيم: هي في رأيه تنظيمات نفسية يكونها الفرد نتيجة لخبرته، كما أنها تدفعه وتحدد سلوكه في المواقف التفضيلية التي تتضمن علاقات مع الآخرين، وهي أحكام يكونها الفرد وتحدد له إلى حد كبير سلوكه.

- تعريف فرانكل Frankel للقيم: القيم عنده عبارة عن مفهوم يدل على ما يفيد الشخص في أهمية الحياة.^(٣)

- تعريف أحمد زكي بدوي للقيم: يرى أنها أحكام مكتسبة من الظروف الاجتماعية ويتأثر بها الفرد ويحكم بها وتحدد مجالات تفكيره وتحدد سلوكه وتؤثر في تعليمه.

للقيم دور في تعديل وضبط السلوك، وعلماء النفس يرون أن القيم عنصر أساسي في تكوين المجتمعات الإنسانية، وهي التي تقوم بعملية الضبط لسلوك الأفراد وتحكم العلاقات بينهم وتنظم الأنساق الاجتماعية والعلاقات بينها.

نلاحظ أن التعاريف تحاول أن تبين لنا أن القيم هي مضامين تربوية يتم صياغتها في قالب لفظي مناسب يُعبر عنه، وهناك من يرى القيمة عبارة عن أهداف، وهناك من يراها على أنها

^١ - صبري خالد عثمان (٢٠٠٨)، مرجع سابق، ص: ١٥٦

^٢ - خزر عبد الحميد (٢٠٠٦)، مرجع سابق، ص: ٢٢

^٣ - نورمان منير أسعد (١٩٩٩)، مرجع سابق، ص: ٣٣

تفضيلات، وآخرون يرونها مجموعة من الاتجاهات نحو مواضيع معينة، أو حاجات محددة ودوافع لتوجيه السلوك كأن يشعر الإنسان بوجوب عمل معين لكنه لا يفعله، فالقيم لها وجهان وجه إيجابي وآخر سلبي.

*القيم في التربية :

القيم في التربية تعني الأشياء التي يعطيها الناس اهتماما خاصا، كما تبدو أهميتها لاعتبارات نفسية أو اجتماعية أو أخلاقية أو جمالية، وعادة ما تشير إلى بناء داخلي أو أنساق لمعتقدات تؤدي بالإنسان أن يحصل من خلالها على الأمن والتدعيم النفسي.^(١) القيم في التربية "مفهوم يتمناه الفرد لاعتقاده بصحته عقليا ووجدانيا وربما إيمانيا".^(٢) هذا المفهوم له جانبه المعرفي النظري، كذلك الجانب المهاري التطبيقي العملي في واقع الفرد، ليكون هذا المفهوم من خلال تفاعلات متعددة خاصة بنشأة الفرد وثقافة المجتمع الذي يعيش فيه والمعتقدات الدينية لهذا المجتمع، كذلك الرصيد الخبراتي من تجارب الحياة اليومية. نستعرض بعض تعاريف علماء التربية للقيم:

-القيم عند جون ديوي: يرى أنها تدل على موقف الاعتزاز بشيء وإثاره على اعتبار أنه ثمين ونفيس من أجل ذاته، والقيمة تعني أنها تقويم بمعنى عمل عقلي مميز قوامه المقارنة والحكم، وهذا يحدث عندما تكون الخبرة مباشرة متكاملة مفتقرا إليها، ولا توجد قيمة إلا إذا كان هناك إشباع.

- القيم عند ماكركجي Mukerjee: القيمة عنده عبارة عن مجموعة من الأهداف متفق عليها اجتماعيا، وهي توجد في المجتمع من خلال عمليتي التعليم والتنشئة الاجتماعية.^(٣)

- القيم عند محمد الهادي عفيفي: هي عبارة عن مجموعة من الأهداف، والمثل العليا التي توجه الإنسان سواء في علاقته بالعالم المادي أو السماوي.

^١ - نفس المرجع ، ص: ١٩

^٢ - نفس المرجع، ص: ٣٥

^٣ - خزر عبد الحميد (٢٠٠٦)، مرجع سابق، ص: ١٩

- **تعريف مراد صالح للقيم:** يعتبرها المعايير الموجهة لسلوك الفرد الظاهر والباطن لتحقيق غايات خيرة مستوحاة من الكتاب والسنة، وتظهر من خلال نشاط الفرد اللفظي الوجداني والسلوكي.^(١)

- **تعريف أحمد حسين اللقاي:** في نظره القيمة هي المبدأ أو المستوى أو الخاصية التي تعتبر ثمينة أو مرغوبا فيها، والتي تساعدنا على تحديد ما إذا كانت بعض الموضوعات جيدة أو رديئة، مهمة أو عديمة الأهمية، صحيحة أو خاطئة، وتلك الموضوعات قد تكون أفكارا أو قرارات أو أشخاصا أو أفعالا أو أشياء.^(٢)

- **القيم من وجهة نظر محمد الدريج:** يعرفها على أنها مكون نفسي أي تشكيلة وجداني مؤلفة من عدد من الميول والاتجاهات المكتسبة بفضل التنشئة الاجتماعية للفرد هذه الميول والاتجاهات حول موضوع ما يقوم من طرف الفرد ويثمن من قبل الجماعة ويصبح عاملا من عوامل التأثير على أفكار الفرد وتوجيه سلوكه واختياراته، وتصبح القيمة وما تمثله من موضوعات وأهداف وغايات يسعى لبلوغها.

من خلال هذه التعاريف ذات البعد التربوي يمكن أن نستنتج أنها اقتصررت وظيفة القيم وحدت من أبعادها حيث أصبحت القيم من منظور تربوي تعني الحكم على خيرية الأشياء ومن عدمها وعلى أهميتها وفائدتها وأهملت باقي الوظائف، كما ذهب البعض إلى اعتبار القيم تكتسب عن طريق التنشئة الاجتماعية وتؤثر في السلوك.

إن القيمة من منظور تربوي هي تقدير يحظى به مفهوم أو فكرة من قبل الفرد ويدفع سلوكه باتجاه محدد وينتظر في مقابلة مكافأة الجماعة والمجتمع له، كما اتفق التربويون على أنها مرغوبة من الجميع وتحقق أهداف المجتمع وتدفع سلوك أفرادها في الاتجاه الصحيح وتكون القيمة تربية إذا صدرت عن أي مؤسسة يفترض بها القيام بدور في تنشئة الطفل، وتعمل من خلالها على دفع سلوكه في الاتجاه الصحيح المرغوب فيه.

^١ - مراد صالح مراد (١٩٩١): دور التربية في تنمية القيم الأخلاقية لطفل القرن ٢١، مركز

دراسة الطفولة، جامعة عين شمس، القاهرة، ص: ١٠٥

^٢ - عبد الحميد خزر (٢٠٠٦)، مرجع سابق، ص: ٢٠

*** القيم في الفلسفة:** لقد شغلت القيم الفكر الفلسفي والمفكرين عقوداً من الزمن نظراً لأهميتها بالنسبة للنظم الاجتماعية والحياتية بجميع مستوياتها ومؤسساتها، حيث حاولت المذاهب الفلسفية باختلاف مشاربها الإجابة على مشكلات فلسفية ترتبط بالقيم.

فالقيم في الفلسفة المثالية ثابتة وخالدة وهي صالحة لكل زمان ومكان وهي هدف كل النظريات الأخلاقية وحياة الإنسان هي اقتراب من عالم المثل والتحلي بفضائل العقل عن طريق التأمل والفكر.^(١)

أما القيم في الفلسفة الواقعية فيؤكد أصحابها على أن القيم مصدرها المجتمع أو الفرد الذي يعيش فيه مثل الوجودية والماركسية، والفلسفة الواقعية لا تؤمن بالحقائق الخالدة الثابتة وترى أن القيم نسبية لأنها تنشأ من العادات والتقاليد إما بالضغط الاجتماعي أو الدفع الذاتي، بناء على قوة نتائجها الطبيعية وأن الضمير هو صدى للعادات والتقاليد والقيم الاجتماعية وهي تختلف من مجتمع لآخر لأن ما يرتضيه مجتمع يرفضه آخر وقد يرضى عنها مجتمع آخر.

- **القيم عند سقراط:** يرى أن قيمة الشر قيمة سلبية، لأن مصدرها الجهل، وقيم الخير قيم إيجابية لأنها لم تصدر عن الجهل.

- **القيم عند أفلاطون:** ينظر إليها على أنها أبدية ومطلقة كما أنها محلية وعامة، فأضفى عليها طابع القداسة والديمومة والخلود، بمعنى أن القيمة عند أفلاطون لا تخضع لحركة الزمن النسبي أو امتداد المكان المحدود، وإنما تصدر القيم من عالم فوق زماني لا يخضع لاحتمية الزمان والتاريخ.

- **القيم عند ديكارت:** اختلفت نظريته إلى المثل عن نظرية سقراط وأفلاطون، فالأنا عنده هي نفسها مصدر المثل وصياغة القيم، ومن ثم أصبح الإنسان هو الصانع الوحيد لقواعد ومعايير الخير والشر.^(٢)

- **تعريف جميل صليبا:** أورد جميل صليبا في المعجم الفلسفي وزاد على مفهوم القيمة بأنها في علم الأخلاق تطلق على ما يدل على لفظ الخير والشر، بحيث تكون قيمة العمل نابعة مما تتضمنه من خيرية.^(١)

^١ - إبراهيم عصمت مطاوع (١٩٩٥)، مرجع سابق، ص: ١١٧

^٢ - صبري خالد عثمان (٢٠٠٨)، مرجع سابق، ص: ١٦٥

- القيم عند نيتشه Nietzsche: لقد فرق نيتشه تفرقة تعسفية بين ما أسماه بأخلاق السادة وأخلاق العبيد رافضاً رفضاً تاماً القول بالمساواة بينهما، وهو ما جعله ينادي بنسبية الأخلاق وبالتالي بنسبية القيم.^(٢)

لقد مزج الفلاسفة عند تعريفهم للقيم بين طبيعة القيم وطبيعة المعرفة، فوجدوا أن قيمة الشر هي قيمة سلبية لأن الجهل هو علة الشر ومصدر الآثام واختلفت الفلسفات في النظر إلى القيم ففسرت القيم على أنها تأتي من عالم فريد ومستقل بذاته، والقيم في نظرهم مستقلة عن الواقع ومنفصلة عن التاريخ والأحداث، ولا تفسر القيم عن طريق الظواهر الوجودية، وتقوم نظرية الفكر المثالي للقيم على أساس الاعتقاد في وجود عالمين أحدهما مادي والآخر معنوي، وأن الإنسان الكامل يستمد من عالم الشيء قيمته، وهي قيم مطلقة كاملة وخالدة أزلية غير قابلة للتغيير والزوال.

* القيم في الاقتصاد : لكلمة قيم مدلولها الاقتصادي الذي لا يمكن للباحث التغاضي عنه، لأنها مفهوم مرتبط بمفهوم الجودة والثلث والقيمة، وهي تحمل معاني متعددة منها ما يتعلق بالشؤون الاقتصادية كالمنفعة والمعيشة والفائدة أو السعر الذي نشترى به السلعة أو البضاعة، وتدخل ضمن هذا التعريف كل القيم المادية.^(٣)

١-٤-٣ مناقشة التعاريف :

يختلف الكثير من العلماء في تحديد تعريفاتهم للقيم كل حسب إطاره المرجعي، وبحسب نظرته العلمية لموضوع القيمة، فيرى البعض أن القيم مقياس أو معيار للحكم على الأشياء وذلك لأن القيم تعطي الإنسان القدرة على المفاضلة، والتعرف على ما هو حسن أو قبيح، وهي متفق عليها بين أفراد المجتمع ويولونها احتراماً عميقاً ويحرصون على توارثها. فالقيم لدى علماء النفس أو علماء الاجتماع أو التربية أو علم النفس الاجتماعي أو حتى في الفلسفة تُعدُّ مثلاً علياً تحدد الاتجاهات عند الفرد وبناءً عليه يتم الاختيار بين الأشياء

١- جميل صليبا (١٩٨٢): المعجم الفلسفي، ج ٢، دار الكتاب ، لبنان ص: ٢١٣

٢- عبد العزيز محمد (٢٠٠٨)، مرجع سابق، ص: ١٠

٣- عبد العزيز محمد (٢٠٠٨): القيم الفلسفية الكبرى، المؤسسة الثقافية الجامعية، الإسكندرية،

والتمييز بين الخير والشر والحسن والقبح، وبفضلها يمتلك القدرة على الحكم بمعايير اكتسبها من المجتمع تبعاً لاكتسابات القيم، وتكون النسق القيمي عنده يكون بحسب طبيعة المجتمع واتجاهاته الثقافية والاقتصادية والتربوية.

في كل مجتمع تنتظم مجموعة من القيم تشترك فيها أفراد المجتمع وتنظم سلوكهم الاجتماعي، وتطلق على هذا النظام نظام القيم، فهي تؤثر في سلوك الأفراد وفي إدراكاتهم، وتطور القيم يحتاج إلى ترشيد اجتماعي يهتم بتشكيل ووضع المعايير الجديدة، كما يعمل على تطوير السلم القيمي في المجتمع، فالقيم السائدة في المجتمع والمؤثرة في الاتجاهات تحتاج إلى إعادة النظر لتطوير القديم وابتكار قيماً جديدة تبعاً لطبيعة التغير الاجتماعي.

١-٥ مفهوم الطفل وحقوقه: يعد عالم الطفولة من أغزر المفاهيم من حيث الدراسة ومحاولة فهم كل ما يتعلق بحياته ونمائه، فقد عهد المهتمون بالطفولة أن يولوها أهمية قصوى بغية الوصول بهذا الكائن الاجتماعي في حياته الراشدة إلى العيش بهناء وسلام، سنحاول عبر هذا العنصر أن نفهم الطفل وحاجياته وكذا حقوقه.

١-٥-١ مفهوم الطفل:

إن الطفل إنسان وفرد من أفراد المجتمع، ليس لديه القدرة الذاتية على تدبير أموره وتوفير الموارد الضرورية لحياته، وذلك بسبب صغر سنه وعجزه وعدم نضجه الكافي لفهم الحياة وحل مشاكله فيها. ولهذا الطفل الكثير من الحقوق التي يكون عاجزاً عن ممارستها بنفسه في كثير من الأحيان، أو عاجزاً عن حمايتها، وهنا يأتي دور الأسرة التي تكفل تحقيق ذلك، فإن لم توجد الأسرة أو عجزت عن ممارسة دورها، جاء دور الدولة التي يجب عليها حماية هذا الطفل خاصة إذا كان محروماً.

ولم يختلف العلماء والباحثين ولا حتى المنظمات الإنسانية في تحديد مفهوم الطفل عدا ما يتعلق بنهاية فترة الطفولة التي تخضع في كثير من الأحيان لمتغيرات ثقافية وقانونية، ولعل أوجز التعاريف حول الطفل نذكر:

- الطفل هو " هو إنسان يحتاج إلى حماية من أجل نموه البدني والنفسي والفكري حتى يصبح بمقدوره الانضمام لعالم البالغين ".^(١)

- الطفل يعني أيضا " كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة، ما لم يبلغ سن الرشد قبل ذلك بموجب القانون المطبق عليه ".^(٢)

١-٥-٢ مفهوم الطفل في القرآن الكريم:

ظهر مصطلح "الطفل في القرآن الكريم بمعاني متعددة وفي عدة صيغ منها: الطفل، طفلا، الأطفال، غلام، غلمان، وورد ذكره على شاكلة هذه الصيغ ١٧ مرة ^(٣) ومن أمثلة تلك الآيات التي تدلل على مفهوم الطفل نذكر قوله عز وجل في كتابه الحكيم:

*"ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا" سورة الحج الآية ٥

*"أو الطفل الذي يظهر على عورات النساء" سورة النور الآية ٣١

*"وإذا بلغ منكم الأطفال الحلم فليستأذنوا" سورة النور الآية ٥٩

*"فبشرناه بغلام حليم" سورة الصافات الآية ٢٨

*"قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر" سورة آل عمران الآية ٤٠

- تعريف منظمة اليونسكو للطفل: يقصد بالطفل كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشر، ولم يبلغ سن الرشد الذي يؤهله لحماية نفسه والقيام بواجباته.

١-٥-٣ مفهوم حقوق الطفل:

- التعريف القانوني: " الحق سلطة أو قدرة يمنحها القانون لشخص من الأشخاص تحقيقا لمصلحة مشروعة يعترف بها ويحميها"^(١).

^١ - أمانى عبد الفتاح (٢٠٠١): عمالة الأطفال كظاهرة اجتماعية ريفية. عالم الكتب، القاهرة، ط١،

^٢ - هيئة الأمم المتحدة: اتفاقية حقوق الطفل. ٢٠ نوفمبر

^٣ - محمد فؤاد عبد الباقي (١٩٩٦)، مرجع سابق، ص: ٥٢٥

- **التعريف الاجتماعي:** "هو تبرير قانوني أو أخلاقي يتيح للفرد القيام بسلوك معين، أو مطالبة الآخرين إتباع سلوك محدد يتصل به".^(٢)

- **تعريف حقوق الطفل:** "هي مجموعة المعايير التي تحدد حقوق الإنسان التي يجب أن يتمتع بها الأطفال أينما كانوا دون تمييز، والاعتبارات التي تولى الأهمية الكبرى بهذا الصدد هي مصالح الأطفال الفضلى".

يمكن اعتبار أن حقوق الطفل " هي مجموعة الحقوق التي نصت عليها اتفاقية حقوق الطفل سنة ١٩٨٩ والتي تم تنفيذها في عام ١٩٩٠ واعتمادها من طرف دول العالم منها الدول العربية، والتي يجب أن يتمتع بها كل الأطفال دون تمييز من حيث الجنس واللون والدين واللغة والأصل والثروة".

وقد اهتمت المنظمات الدولية والإنسانية بحقوق الطفل على جميع الأصعدة وأوردت مواد حقوقية تنادي بضرورة حماية عالم الطفولة لكل الدول المنتمية خاصة لهيئة الأمم المتحدة.

ففي المادة ٣ من اتفاقية حقوق الطفل جاء فيها: "في جميع الإجراءات التي تتعلق بالأطفال سواء قامت بها مؤسسات الرعاية الاجتماعية العامة أو الخاصة أو المحاكم أو السلطات الإدارية أو الهيئات التشريعية يولى الاهتمام والاعتبار الأول لمصالح الطفل الفضلى".^(٣) أما المادة ٦ و ٧ من اتفاقية حقوق الطفل فقد نادى بضرورة اعتراف الدول الأطراف بأن لكل طفل حقا أصيلا في الحياة، ويجب تسجيله بعد ولادته مباشرة وأن يكون له الحق منذ الولادة في اسم والحق في اكتساب الجنسية ويكون له قدر الإمكان الحق في معرفة والديه وتلقي رعايتهما.

ونادت المادة ١٨ من الاتفاقية بضرورة بذل الدول الأطراف قصارى جهدها لضمان الاعتراف بالمبدأ القائل أن كلا الوالدين يتحملان مسؤوليات مشتركة عن تربية الطفل ونموه

^١ - إسحاق إبراهيم منصور (١٩٩٣): نظرتنا القانون والحق وتطبيقاتها في القوانين الجزيرية.

ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص ٢١٠.

^٢ - نخبة من أساتذة قسم علم الاجتماع (د،س): المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص. ٣٨٨.

^٣ - نصيف فهمي (٢٠٠٩)، مرجع سابق، ١٩

والتي تقع على عاتق الوالدين، أو الأوصياء القانونيين وحسب الحالة تكون المسؤولية الأولى عن تربية الطفل ونموه، وتكون مصالح الطفل الفضلى موضع اهتمامهم الأساسي.^(١) ولم تتحدث الاتفاقية عن حقوق الطفل العادي فقط بل ضمنت النصوص الحديث عن فئات خاصة من الأطفال وهي فئة الأطفال المحرومون حيث تشير الاتفاقية في نص المادة ٢٠ أن الطفل المحروم بصفة مؤقتة أو دائمة من بيئته العائلية أو الذي لا يسمح له حفاظا على مصالحه الفضلى بالبقاء في تلك البيئة الحق في الحماية والرعاية والمساعدة خاصة تلك التي توفرها الدولة.

أما المادة ٣٢ من الاتفاقية؛ فالزمت الدول الأطراف بحق الطفل في حمايته من الاستغلال الاقتصادي ومن أداء أي عمل يرجع أن يكون خطيرا أو أن يمثل إعاقة لتعليم الطفل أو أن يكون ضارا بصحته ونموه البدني والعقلي والروحي والمعنوي والاجتماعي، وفي هذه المادة سُنت التدابير التشريعية والإدارية والاجتماعية التربوية مع تحديد عمر أدنى للالتحاق بالعمل ووضع نظام مناسبات لساعات العمل وظروفه، فرض عقوبات لضمان لتنفيذ هذه المادة.

١-٥-٤؛ الطفولة في نظر علماء الاجتماع:

هي تلك الفترة المبكرة من الحياة الإنسانية التي يعتمد فيها الفرد على والديه اعتمادا كليا فيها يحفظ حياته، وفيها يتعلم ويتمرن للفترة التي تليها، وهي ليست مهمة في ذاتها بل هي جسر يعبر عليه الطفل حتى النضج الاقتصادي والفسولوجي والعقلي والاجتماعي والخلقي والروحي، والتي تشكل خلالها حياة الإنسان تشكلا اجتماعيا.^(٢)

فالطفولة هي الفترة التي يخطئ فيها الإنسان ويرتكب الكثير من الهفوات ويتعلم منها من الخطأ، لذلك من حسن حظ البشر أن لديهم فترة طفولة طويلة، وكلما طالبت هذه الفترة، كلما كثرت الأخطاء، وكلما كان التعلم أكثر، والمربي الناجح هو الذي يحسن استخدام أخطاء الأطفال للوصول إلى توضيح الصواب، ويساعده على ذلك قلة خبرة الطفل وأنه مرن قابل للتعلم، سهل الاستهواء.

^١ - نفس المرجع ، ص: ٢٥

^٢ - حسين عبد الحميد رشوان (٢٠٠٧)، مرجع سابق، ص: ٢

وللطفولة والأطفال مجموعة من الخصائص أهمها: (١)

- الأطفال هم الأشخاص صغار يكسبون أسلوب حياتهم ممن هم أكبر منهم عمرا، فسلوك الطفل الصغير يتميز بصورة سلوك طفلي، فهو يجري، يقفز، يتسلق الأشجار دون مبالاة.
- الطفل غير مستقر، فهو في حركة دائمة ومستمرة، وكل ما يفكر فيه هو اللعب واللهو، وسلوك الطفل خاضع لغرائزه وميوله الفطرية، ولم تهذبه بعد التجارب أو التنشئة الاجتماعية، فغرائزه تدفعه إلى نوع من السلوك يغيره ويكيفه وفقا للقوانين السائدة.
- الطفل يختلف عن الراشد في كونه مخلوق تابع يعتمد على غيره ويحتاج إلى حماية هذا الغير، وجلب الطمأنينة إليه ماديا ومعنويا، فالطفل عاجز عن الدفاع عن حاجة رعاية غيره له، إنه في حاجة إلى الغذاء والراحة الجسمية التي يتلقاها من الكبار، كما يحتاج إلى عطفهم وحبهم وإرشادهم.

- ينعكس الطفل في الخيال، فهو يعيش في عالم خيالي يقوم فيه بدور البطولة، وكلما كبرت سنه زادت تجاربه واختلط الواقع بتفكيره وأدرك الحدود الفاصلة بينه وبين الخيال.

١-٦ مفهوم عمالة الأطفال : التغيرات التي تشهدها المجتمعات على جميع الأصعدة التكنولوجية، الثقافية، السياسية، القيمية والاقتصادية جعلت من الساحة الاجتماعية تفرز لنا الكثير من الظواهر الاجتماعية غير الصحية من بينها ظاهرة عمالة الأطفال، سنحاول التعرض لهذا المصطلح بشيء من التفصيل للوقوف على ماهيته.

١-٦-١ تعريف العمالة: إن العمالة هي العمل، وهو نشاط مرتبط ارتباطا وثيقا بالكائن البشري يتأثر به ويأخذ خصائصه ويتطور بتطور المجتمعات، إن العمل كمفهوم وكموضوع لم تكن له نفس الخصائص التعريفية التي يكتسبها في الوقت الحالي فمن المجتمعات القديمة إلى الحديثة طرأت عليه تعديلات حملت صبغة وطريقة تفكير كل مرحلة وكل حقبة زمنية، وعرف العمل بدوره تقسيمات، قسم خاص بالعبيد والحرفيين وقسم خاص بالأدباء والمفكرين،

^١ - نفس المرجع ، ص: ٥

واعتبر العمل الحرفي من أدنى وأحق الأعمال وكان يعرف على أنه النشاط الذي يغير طبيعة المادة.^(١)

وقد أطلق الرومان مصطلح العمل على كل الأنشطة البشرية باختلاف أشكالها وأنواعها إلا أنها لا تخص بنفس الدرجة اعتبر فيها الحرفي أيضا كالعبد، يقول Ciceroni الفيلسوف الروماني: من يتقاضى أجر يعني أنه انخرط في الاستعباد، فكل الحرفيين يقومون بأنشطة.^(٢)

١-٦-٢ مفهوم عمالة الأطفال:

إن الطفل يحتاج إلى تغذية متوازنة وعناية صحية وتربوية تسمح له بنمو سليم ومتوازن في كل المجالات؛ واللعب من حق الطفل ويفرقه عن الراتب ليعمل ولا يلعب، لكن في عدد من البلدان خاصة التي لها نمو ديموغرافي هام ودخل قليل شاهد ظاهرة عمل الأطفال يستعملون الأطفال في هذه البلدان من طرف رجال الأعمال في أعمال شاقة في مصانع النسيج والألعاب... الخ، ويعمل الطفل من عشرة إلى أربعة عشرة ساعة في النهار. تعريف منظمة العمل الدولية لعمالة الأطفال :

العمل الذي يعتبر مؤذيا للأطفال ويتم على المستوى العقلي والجسمي والاجتماعي والأخلاقي والمعنوي والذي يتعرض دراستهم ويحرمهم من فرص المواظبة على التعلم والدراسة من خلال إجبارهم على ترك المدرسة قبل الأوان أو أن يستلزم منهم محاولة الجمع بين الدوام المدرسي والعمل المكثف الطويل الساعات.

- تنص الوثيقة رقم (٣٢) الصادرة عن مؤتمر حقوق الطفل باتفاق وإجماع (١٩١) دولة من جميع أرجاء العالم على:

" كل طفل يملك الحق في أن يكون محميا من الاستغلال الاقتصادي والقيام بأي عمل ممكن بأن يكون مؤذيا له أو يعرض لمخاطر جسمية أو يتدخل في تعلمه ودراسته أو يضر بصحته أو تطور الطفل الجسمي والعقلي والروحي والمعنوي والتقني أو الاجتماعي".

¹ – Bidet. A, Pillion. T, Vatin.P,(2000): **Sociologie du travail**, Montchrestien, paris.P:2

^٢ - أماني عبد الفتاح (٢٠٠١)، مرجع سابق، ص:٧٦

- وهنا ينطبق على كل طفل في سن ١٧ أو أقل ويحميه من أي شكل من أشكال العمل يتعلق هذا المصطلح (عمالة الأطفال) بصورة محددة بالعمل الذي يقوم به الطفل والذي يعتبر مؤذيا وضارا بنموه ويؤدي إلى تجاوز وخرق حقوقه الإنسانية المشروعة.

*آراء حول تفسير ظاهرة عمالة الأطفال: لم تلقَ ظاهرة عمالة الأطفال إلا قدرا محدودا من الاهتمام واختلفت الآراء في فهم مسببات الظاهرة والعوامل التي تدعمها فأشارت بعض الآراء إلى بعض العوامل كارتفاع معدلات النمو السكاني ونقص الأيدي العاملة في أعقاب الهجرة للدول العربية والبعض الآخر أن هناك ارتباطا وثيقا بين عمالة الأطفال وانخفاض أجورهم وكفاءتهم في أداء بعض الأعمال.

وفي رأي مشابه له (أوسكار لويس): "أن الفئات الدنيا تتميز بشفافة خاصة أساسها ثقافة الفقر تتوارثها الأجيال وتؤدي بهم إلى صور عديدة من السلوك غير السوي مثل التفكك الأسري الخيانة الزوجية البطالة وعدم القدرة على اغتنام الفرص... الخ".

ويرى القاضي(جان شازال): " إلى أن بعض الأسباب التي تدفع الأهل إلى ترك الطفل إلى كسب مصروفه وربما مصروف العائلة كالمساكن الضيقة وظروف سكنية قاسية. وآخرون يرجعونه إلى التسرب المدرسي وتشغيل الأبناء في سن مبكرة لقلة وعي الآباء بقيمه التعليم والإهمال في التربية.(١)

وتنقسم عمالة الأطفال إلى قسمين الأول سلبي والثاني إيجابي:

* مصطلح عمالة الأطفال السلبي:

هو العمل الذي يضع أعباء ثقيلة على الطفل والعمل الذي يهدد سلامته وصحته ورفاهيته والعمل الذي يستفيد من ضعف الطفل وعدم قدرته عن الدفاع عن حقوقه العمل الذي يستغل عمالة الأطفال كعمالة رخيصة بديلة عن عمالة الكبار العمل الذي يس تخدم وجود الأطفال ولا يساهم في تنميتهم، العمل الذي يعيق تعليم الطفل وتدريبه ويغير حياته ومستقبله.

*مصطلح عمالة الأطفال الإيجابي :

يتضمن هذا المصطلح كافة الأعمال التطوعية أو حتى المؤجرة التي يقوم الطفل بها والمناسبة لعمره وقدراته ويمكن أن تكون لها آثار ايجابية تنعكس على نموه العقلي والجسمي

^١ - أمانى عبد الفتاح(٢٠٠١) مرجع سابق ، ص:٣٤

والذهني وخاصة إذا قام به الطفل باستمتاع والحفاظ على حقوقه الأساسية لأن من خلال العمل يتعلم الطفل المسؤولية والتعاون والتسامح والتطوع مع الآخرين.^(١)

١-٧ مفهوم أطفال الشوارع:

على الرغم من شيوع مصطلح "أطفال الشوارع" بسبب حداثة الظاهرة إلا أن الأكاديميين والباحثين على اختلاف أطهرهم المرجعية، يختلفون في تحديد مفهوم هذا المصطلح، حيث يشير في عموميه إلى: " مجموعة الأطفال الذين لهم علاقة بالشارع والذي يعمل كعنصر تفاعلي في حياتهم، ولم يعد البيت بالنسبة لهم هو مركز اللعب أو الثقافة أو مصدر للحياة والأنشطة اليومية.

وتهتم معظم تعريفات طفل الشارع بوضع حدود للظاهرة من خلال وصف أو تصنيف فئات الأطفال التي يشملها المصطلح والشائع أن يجمع التعريف بين ثلاث محددات وهي:

- مكان الإقامة وهو الشارع.

- اعتماد الطفل على الشارع كمصدر للدخل والبقاء.

- بالإضافة إلى عدم وجود مصدر للحماية أو الرعاية أو الرقابة.

١-٧-١ تعريف بعض المنظمات والهيئات الدولية لأطفال الشوارع:

* تعريف منظمة اليونسكو لأطفال الشوارع:

منذ عام ١٩٨٥ قدمت هيئة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة تعريفا شاملا لأطفال الشوارع ينص على: " أن أطفال الشوارع هم كل طفل ذكر أم أنثى اتخذ من الشارع بالمعنى الواسع للفظ مكانا للحياة أو الإقامة الدائمة دون رعاية أو حماية أو إشراف من جانب أشخاص بالغين مسئولين".^(٢)

وطورت من بعد ذلك هذه الهيئة المفهوم ووضعت عام ١٩٨٦ صياغة جديدة ميزت فيها بين من يعملون بالشارع وبين اطفال الشوارع وتلك التفرقة أخذ بها كثير من الباحثين في الميدان وهي تنطوي على تباين في الشكل والمضمون.

^١ - [http:// ar. Wikipedia. Arg/ wiki//%d8%d9 85% d8%a7% d9% 84%d8% a9-%d8 a7% d9% 84.](http://ar.Wikipedia.Arg/wiki/%d8%d9%85%d8%a7%d9%84%d8%a9-%d8%a7%d9%84)

^٢ - أحمد محمد موسى (٢٠٠٩): أطفال الشوارع، المشكلة وطرق العلاج، المكتبة العصرية،

القاهرة، مصر، ص: ١٤

* تعريف منظمة الأمل لأطفال الشوارع:

من بين التعريفات ذات الانتشار الواسع في معظم بلدان العالم وخاصة جنوب شرقي آسيا ذلك التعريف الذي أخذت به منظمة الأمل عام ١٩٩٦ والذي مفاده: "أطفال الشوارع شريحة عريضة من الأطفال تتفاوت درجات اتصالهم بأسرهم ما بين الاتصال المنظم والجزئي، أو الانفصال شبه التام، ويقومون بالشارع أو الميادين العامة والأرصفة، ويعتمدون على أنفسهم غالباً في تدبير شؤون حياتهم الخاصة".^(١)

* تعريف منظمة الصحة العالمية لأطفال الشوارع :

تختصر التعريف بأطفال الشوارع في العبارة التالية: "أطفال الشوارع هم أطفال يعيشون في الشارع بلا مأوى وبدون حماية وبدون رعاية".^(٢)

* تعريف المجلس العربي للتنمية والطفولة لأطفال الشوارع:

يقدم المجلس العربي للتنمية والطفولة تعريفاً لأطفال الشوارع في ضوء التعريف الخاص بالأمم المتحدة والذي مؤداه ان هؤلاء الأطفال يتسمون بالصفات التالية : ^(٣)

- الأطفال حسب التحديد القانوني للسن من الذكور والإناث.
- المقيمون بالشارع بصفة دائمة أو شبه دائمة (الأسواق، الساحات، الحارات، الأماكن المهجورة... الخ).
- الأطفال الذين يعتمدون على حياة الشارع والبقاء فيه، مما يدفعهم إلى القيام بمجموعة من الأنشطة الاقتصادية الهامشية مثل عرض السلع في الأسواق والميادين العامة والتسول.
- الأطفال الذين يعيشون في الشارع دون حماية أو رقابة أو إرشاد من جانب أشخاص راشدين مسؤولين أو جمعيات أو هيئات ترعاهم.

* تعريف منظمة اليونسيف لأطفال الشوارع:

^١ - نفس المرجع ، ص : ١٤

^٢ - نفس المرجع، ص : ١٥

^٣ - نفس المرجع، ص : ١٦

يتصف تعريف منظمة اليونسيف لأطفال الشوارع بشموليته حيث أن هذه الفئة تمثل في نظرها: "أطفال ذكور وإناث يلتقون حول بيئة الشارع كوسط بديل للحياة الأسرية، ومختلف الضغوط التي تحيط بهم".^(١)

* تعريف الجامعة العربية لأطفال الشوارع:

تبنت الجامعة العربية التعريف الذي قدمه محمد عبد الجواد حول أطفال الشوارع مؤداه: "طفل الشارع هم الطفل الذي عجزت أسرته عن إشباع حاجاته الأساسية الجسمية والنفسية والاجتماعية والثقافية كنتاج لواقع اجتماعي اقتصادي تعايشه الأسرة في إطار نظام اجتماعي أشمل، ودفع به إلى واقع آخر يمارس فيه أنواعا من النشاطات لإشباع حاجاته من أجل البقاء، مما قد يعرضه للمساءلة القانونية بهدف حفظ النظام الاجتماعي".^(٢)

* تعريف المجلس القومي للطفولة والأمومة :

في نظر المجلس طفل الشارع هو طفل لا مأوى له، وهؤلاء الطفل الذي عجزت أسرته والمجتمع عن إشباع حاجاته الأساسية (الجسمية والنفسية والاجتماعية والثقافية والصحية...) كنتاج لواقع اجتماعي واقتصادي تعايشه الأسرة في ظل ظروف اجتماعية أشمل، فدفع الطفل للشارع معظم أوقته لمحاولة إشباع حاجاته من أجل الاستمرار في البقاء، مما يعرضه للمخاطر المختلفة والحرمان من الحصول على الحقوق الأساسية مثل أي طفل.^(٣)

١-٧-٢ تعاريف بعض العلماء الغربيين ^(٤)

* تعريف جيبيرز Jeaperze (١٩٩٠):

أطفال الشوارع حسب جيبيرز هم: "أطفال ارتبطت حياتهم ببيئة الشارع مع إقامتهم فيه بديلا عن الحياة في المنزل وانفصالهم عن أسرهم غالبا وهجرهم الدراسية بسبب

^١ - نفس المرجع ، ص: ١٨

^٢ - نفس المرجع، ص: ١٨

^٣ - نصيف فهمي (٢٠٠٩): أطفالنا في خطر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ص: ١٣

^٤ - نفس المرجع السابق ، ص: ١٤ ، ١٥

ضغوط متعددة بالغة الشدة وبفعل عمليات الانسياق والغواية وذلك قبل بلوغهم سن السادسة عشر من العمر".

***تعريف تاكون Tacon:**

هم في نظره: "أطفال يعيشون في الشارع ويعملون في الشارع بدون أي نوع من الإشراف من جانب الوالدين أو الأشخاص الكبار".

*** تعريف لجنة الرعاية الاجتماعية للمدن الأوروبية :**

هم: "أطفال من الميلاد حتى الحادية والعشرين، ليس لديهم مأوى ثابت مثل المنزل أو أي مؤسسة، يمضون حياة شاقة عند المبيت بالليل، وينتقلون بين الشارع والأسرة وليس لديهم دخل ثابت، ولا يمكنهم الاعتماد اقتصاديا على أسرهم أو مؤسسات الرعاية، ويضطرون لبيع الأشياء التافهة أو التسول، أو السرقة من أجل العيش".

*** تعريف جروزا Grosa :** هم أطفال أعمارهم أقل من ١٨ سنة يعيشون في الشوارع ونادرا ما يكون لهم صلة بأسرهم، ويحصلون على قوت يومهم بأي طريقة".

*** تعريف فليسمان Felssman:**

يشير تعريف فليسمان إلى أن أطفال الشوارع هم: "الأطفال الذين يعيشون في الشارع والذين تتم تشيئتهم الاجتماعية خارج الأسرة والمدرسة ولهم قليل من الاتصالات مع الكبار".

*** تعريف بويدن Boyden :**

يرى بويدن أنهم: "أطفال مهضوم حقوقهم والمظلومين والذين يقيمون في الشوارع ويعملون بها".

*** تعريف ليسك Lusk:**

يعرفهم بأنهم: "فئة قليلة يكسبون نفقات بسيطة من خلال العمل في الشوارع وهم يقيمون في الشوارع كل أوبعض الوقت".

*** تعريف وايتن Withing (١٩٩٧):** يعرف أطفال الشوارع بكونهم: "الأطفال

الذين يقعون في المدى العمري ما بين ٨ إلى ١٢ سنة ويقضون كل أو معظم أوقاتهم يجوبون الشوارع والطرق بعيدا عن الأسرة".

ويميز وايتن Withing بين أطفال في الشارع وأطفال الشارع،^(١) فالأطفال في الفئة الأولى حسبه يظلون قريبين من عائلاتهم، ويعملون في الغالب معهم في الأسواق ويُشار للأطفال في الشارع بأطفال "السوق" فمنهم من يعيش مع والديه ويعمل في الأسواق، وبعضهم يذهب إلى المدرسة جزءا من الوقت، بينما ظروف حياتهم غير مستقرة، بينما الفئة الأخيرة يكونون في الغالب بلا عائل ويعتبرون الشوارع بيتا ومستقرا لهم رغم إمكانية احتفاظهم ببعض العلاقات الأسرية.

١-٣-٧ تعاريف بعض العلماء العرب^(٢)

*تعريف مدحت أبوالنصر :

يعرف أطفال الشوارع بكونهم: "أطفال ذكورا كانوا أم إناثا والذين يقل عمرهم عن ١٨ سنة يعيشون وينامون ويأكلون ويلعبون في الشوارع، منهم من لا يعمل والبعض الآخر يعمل أي يعمل في الشوارع بشكل غير رسمي وغير مرخص، وعلاقاتهم بأسرهم غالبا منقطعة".

* تعريف أحمد صديق:

يسير إلى أن مفهوم أطفال الشوارع يعني: "كل طفل من أسرة تصدعت اوتفككت، ويعاني من ضغوط نفسية وجسمية واجتماعية، ولم يستطع التكيف معها، فأصبح الشارع مصيره، حيث لا يتوفر له أي من سبل البقاء أو النمو أو الحماية الطبيعية، وحيث يعاني كل انتهاكات حقوق الطفل".

*تعريف نشأت حسين:

يقدم نشأت حسين تعريفا عاما لأطفال الشوارع يقول فيه: "إن طفل الشارع هو كل طفل ذكر كان أم أنثى أقل من ١٨ سنة مقيم بالشارع دون اتصال مباشر أو مستمر بأسرته، ويعتمد على حياة الشارع في الإقامة والماوى دون حماية أو رقابة أو إشراف من جانب هيئات أو مؤسسات حكومية أو أهلية تطوعية، مما يجعله يكتسب من الشارع مجموعة من المهارات والمفاهيم التي تمكنه من البقاء والتكيف مع واقع الحياة في الشارع".

^١ - أبو بكر مرسي محمد مرسي (٢٠٠١): مرجع سابق، ص: ٤٤

^٢ - نفس المرجع السابق، ص: ١٧

* تعريف محمد سيد فهمي:

الذي ذهب إلى أن أطفال الشوارع هم: "الأطفال الذين يقل عمرهم عن ١٨ سنة، ويعيشون وينامون ويأكلون في الشوارع بشكل غير رسمي، أو غير مرخص به، وعلاقاتهم بأسرهم إما متقطعة أو منقطعة في الغالب".

* تعريف مجدي جرس:

يشير مفهوم طفل الشارع إلى: "كل طفل يعيش بدون منزل أو بعيد عن أسرته حراً طليقاً، ويمثل الشارع بالنسبة له المأوى أو المرجع".^(١)

* تعريف جمال مختار حمزة:

في نظره هم: "الأطفال الذين يوجدون في سن الحداثة (٦ إلى ١٣ سنة) الموجودون والمقيمون باستمرار بالشارع، على سبيل المثال أسفل الجسور، محطات المترو والسكك الحديدية، محطات النقل، الحدائق العامة... الخ، يمارسون التسول نتيجة ظروف عائلية غير سوية أو معاملة سيئة في الملاجئ، ويعيشون في ظروف اجتماعية واقتصادية ومهنية ونفسية وبيئية تتبئ بانحرافهم".^(٢)

* تعريف ثريا عبد الجواد: تبنت تعريف الجامعة العربية لأطفال الشوارع حيث تعرفه بكونه: "ذلك الطفل الذي عجزت أسرته عن إشباع حاجاته الأساسية الجسمية والنفسية والثقافية، كنتاج لواقع اجتماعي اقتصادي تعايشه الأسرة في إطار اجتماعي أشمل دفع به إلى واقع أحر يمارس فيه أنواعاً من النشاطات لإشباع حاجاته من أجل البقاء، مما قد يعرضه للمساءلة القانونية بهدف حفظ النظام العام".^(٣)

^١ - مجدي جرس (٢٠٠٧): دليل المنشط للعمل مع الأطفال المعرضين للخطر، كارتاس، مصر،

ص: ٣٠

^٢ - جمال مختار حمز: (٢٠٠٠): عمالة الأطفال رؤية نفسية، في مجلة علم النفس، العددان ٤٠،

٤١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ص: ١٥٠، ١٥١

^٣ - ثريا عبد الجواد (١٩٩٦): الأوضاع المتغيرة لظاهرة أطفال الشوارع، دراسة للحالة المصرية، في

مجلة بحوث، العدد ٢٥ كلية الآداب، جامعة المنطوية، مصر، ص: ٦٩

* تعريف أبوبكر محمد مرسي: يرى فيه أنه: "الطفل المشرود الذي يعيش بدون منزل أو بعيد عن أسرته هائما على وجهه، ويمثل الشارع مأوى له".^(١)

* تعريف نصيف فهمي لأطفال الشوارع: يضع نصيف فهمي عدة معايير وأبعاد لتحديد مفهوم أطفال الشوارع، فطفل الشارع حسبه هو:^(٢)

- الطفل الذي يواجه عوامل ذاتية وأسرية تدفعه للشارع بعض أكل الوقت، أو يصبح الشارع هوالكيان الذي يرتبط به.

- الطفل الذي يعاني نقص إشباع حاجاته الأساسية في الحياة كالمأكل والملبس نتيجة فقدانه الرعاية الأسرية، وعدم توفر مصادر الرعاية اللازمة له.

- الطفل الذي يجد الجاذبية فيما يتوفر بالشارع من حرية وعلاقات مع الآخرين للحصول على ما يرغبه بأية وسيلة ممكنة.

- الطفل الذي ارتبط بالأسرة التي تعاني من الفقر أو الجهل أو المرض أو التفكك الأسري، مما يجعله يتجه إلى مصادر أخرى لإشباع احتياجاته من خلال التفاعل مع الشارع والقيام بسلوكات شخصية قد تحقق له ما يريد مثل ممارسة الجنس، إدمان المخدرات، السرقة... الخ وغيرها من الأفعال المنحرفة.

٤-٧-١ مناقشة التعاريف: لقد اتفقت التعاريف التي تناولت أطفال الشوارع على مؤشرات هامة أهمها :

- قضية التفكك الأسري التي تبدو واضحة من خلال جل التعاريف على نحو ما جاء في تعريف المنظمات أو بعض العلماء أمثال أحمد صديق ونشأت حسين والمنظمات الدولية.

- يعتبر الحد العمري الأدنى في هذه التعريفات بعدا قانونيا، أي قبل وصول الطفل إلى سن الرشد الجنائي (١٨-٢١ سنة) على اختلاف هذا الأخير بين المجتمعات.

- أطفال الشوارع ينتمون بالضرورة إلى أسر مفككة، وأن هذا التفكك يأتي مصحوبا بضغط أخرى تكتنف حياة الطفل وأسرته معا وتكون من نتائجها نقص حقوق الطفل التي كفلها له القانون.

^١ - أبو بكر مرسي محمد مرسي (٢٠٠١)، مرجع سابق ، ص: ٤٠

^٢ - نصيف فهمي (٢٠٠٩)، مرجع سابق، ص: ١٣

- أطفال الشوارع يعيشون ويعملون بالشارع ويختلطون بالمشبوهين والأشرار والمنحرفين، ويكتسبون أقواتهم من أنشطة مثل حراسة السيارات بيع وسرقة الأشياء، ومنهم من جعل الشارع مصدرا مكملا لدخل الأسرة.

- أن أطفال الشوارع هم الذين يقيمون فعليا في الشارع، كما تركز بعض التعارف على المحددات القانونية فقط مثل السن واحتمال التحول إلى الإجرام أو استخدام الشارع أو أداء الأعمال الهامشية أو التشرد.

- معظم التعاريف لا تأخذ في حسابها البعد الاجتماعي، ولا تعبر موضوعيا عن الواقع الذي يعيشه الطفل أو الوضع الاجتماعي الذي ينتمي إليه ويدفع به الشارع، دون مسؤولية منه عن ذلك.

- تبين لنا التعاريف أن هناك علاقة وثيقة بين الأطفال والشارع حيث أصبح الشارع هو الكيان المادي والاجتماعي وحتى الثقافي الذي يرتبطون به، وهو يشكل شخصياتهم من كافة الجوانب ويحقق رغباتهم ويشبع حاجاتهم.

- المضمون الأساسي لأطفال الشوارع في بعض التعاريف كتعريف نصيف فهمي ينطوي على فقدان الطفل للرعاية المتكاملة وكذلك حماية الأسرة، مما يؤدي به إلى البحث عن مصادر أخرى لإشباع الاحتياجات والارتباط بالشارع كبديل عن حياته الطبيعية.

وحسب هذه التعاريف الموردة يمكننا أن نصل إلى أن مفهوم أطفال الشوارع ينطوي على ثلاث تصنيفات من الأطفال:

- * أطفال يعيشون مع آخرين في منازل يملكها أولياء أمورهم.
- * أطفال الملاجئ والمقيمون في مراكز الإيواء نظرا لوضعياتهم الأسرية.
- * أطفال يعيشون في الشارع حيث يتخذون من هذا الأخير مسكنا لهم ويعيشون في الأماكن العامة أو الأزقة والحدائق العامة، ومداخل العمرات والمحطات إلى غير ذلك من الأماكن في المدينة.

٢- نظريات البحث:

سنحاول عبر هذا العنصر أن نتوقف عند أهم النظريات التي عالجت متغيرات الدراسة بدءً بالطفل ومرورا بالقيم وأساليب التربية وانتهاءً بالتنشئة الاجتماعية.

١-٢ الاتجاهات النظرية الكبرى في دراسة نمو الطفل :

إن النمو سلسلة متماسكة ومتتابعة من تغيرات تهدف إلى غاية واحدة هي : اكتمال النضج ومدى استمراره وبدء انحداره^(١) والنمو بهذا المعنى يعني أنه لا يحدث فجأة، بل يتطور خطوة إثر خطوة إذ تخضع مراحل النمو لتتابع منتظم وتأتلف مظاهره في سلم متعاقب، فالطفل يقعد قبل أن يمشي، ويحبو قبل أن يقف، ويقف قبل أن يمشي، ويصرخ صرخة الميلاد قبل أن ينادي، وينادي قبل أن يتكلم. وهكذا يسير النمو في خطوات متلاحقة متتابعة بحيث تعتمد كل خطوة من تلك الخطوات على التي سبقتها وتمهد الطريق إلى ظهور الخطوة التي ستليها. والطفل كي يصل إلى مرحلة الرشد ينمو على ثلاث مستويات المستوى الجسمي، المعرفي والعاطفي^(٢).

ولقد ثبت من خلال الملاحظة الدقيقة ومن خلال نتائج عديد البحوث العلمية أن عملية النمو تستند إلى مجموعة من القوانين خاصة باتجاه النمو وسرعته ومراحله هذه القوانين تكون المرجعية البنائية لسير عملية النمو، ومن بين هذه القوانين نذكر -على سبيل المثال لا الحصر - :^(٣)

- أن كل مرحلة من مراحل النمو لها سمات خاصة ومظاهر مميزة.
 - أن سرعة النمو ليست مطردة (ليست على وتيرة واحدة).
 - أن مظاهر النمو تسير بسرعات مختلفة.
 - أن النمو يتأثر بالظروف الداخلية والخارجية.
 - أن الفروق الفردية واضحة في النمو.
- فكل مرحلة من مراحل النمو تتوقف على ما قبلها وتؤثر فيما بعدها، ويشمل النمو الأصعدة المختلفة: البيولوجية، الاجتماعية، التربوية والنفسية.
- لقد شهدت العلوم ذات الصلة بتربية ونمو الطفل ورعايته تطورات هائلة منذ أوائل القرن الماضي، ولقد تركت هذه التطورات آثارها الكبيرة على الأصعدة النظرية والعلمية.

^١ - فؤاد البهي السيد (١٩٩٨): الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، دار الفكر

العربي، القاهرة، ص: ٣٠

^٢ - Maurice, Parot (1979): L'enfant et la relation familiale, PUF, Paris, p: 13

^٣ - طلعت همام (١٩٧٩): سين وجيم عن علم النفس التطوري، دار عمان للنشر، عمان،

الأرن، ص: ٤١

إن بداية الاهتمام بالطفولة وخصائصها كان منذ القديم وقد اختلفت آراء المفكرين فيما يتعلق بتربية الطفل، فقد كان أفلاطون يرى أن التربية هي الأداة الموصلة لتكوين المجتمع المثالي الذي يتكون من طبقات لكل منها واجب معين وبذلك تكتمل العدالة في ذلك المجتمع.^(١)

ويرى أفلاطون أن الأسرة هي المسؤولة عن تربية الطفل وعدم الإسراف في تدليله خاصة في سنواته السبع الأولى، وعدم تعريضه للقصص والأخبار إلا إذا كانت مطهرة من قصص الشر والعنف والرديلة.

أما القديس أوغستان فقد نادى بمعاملة الطفل معاملة الكبار، وكان يرى أن كل كائن بشري يرث الخطيئة من آدم لذلك فأحفاد آدم يولدون وفيهم بذور الشر.

ويرجع الفضل في العصر الحديث في فهم خصائص الطفل إلى العالم الفيزيولوجي بريير Preyer الذي كان يسجل ملاحظات منهجية على نمو طفلة صغيرة ابتداء من الأفعال المنعكسة عند الميلاد إلى السلوك الأكثر تعقيدا.

وتبعه من ثم رواد كثيرون منهم العالم هال Hall من خلال المدرسة الوظيفية لعلم النفس حيث كان يرى أن النمو الطبيعي للوظائف النفسية والعقلية والفيزيولوجية لا يتم إلا من خلال مراحل تطورية، لذلك شملت دراساته الطفولة أولا، ثم المراهقة، ثم كتاب الشيخوخة ويرى هال أن الطفل يعيش من جديد تاريخ الجنس البشري وتكون خبرات أسلافه في متناول يده فيقوم بإعادة تبني الميول والاتجاهات بنفس التتابع الذي حدثت به عند الإنسان.

٢-١-١ الطفولة في نظر علماء النفس:

حدثت متابعة علم النفس لنمو الشخصية من جميع جوانبها وبرزت أهمية السنوات الأولى من الطفولة في هذا النمو، كما أصبحت أساليب التعلم التي تقود إليه أكثر وضوحا،

^١ - حسين عبد الحميد رشوان (٢٠٠٧): الطفل دراسة في علم النفس الاجتماعي، المكتب الجامعي

الحديث، الإسكندرية، ط٤، ص: ٦

وكانت المشكلة الأولى التي يطرحها علم النفس هي مشكلة الصلة بين الطفل والراشدين من حوله، وهذه الصلة هي صلة مباشرة ومُعاشاة. (١)

لقد اهتم علماء النفس على اختلاف اتجاهاتهم العلمية بالطفل بعد ما أحرزته مدرسة التحليل النفسي من تطورات هائلة في الشخصية والإنسان وتطوره على مختلف مراحل حياته، ومن العلماء الذين تمحورت دراساتهم حول الطفل؛ نذكر: فرويد، ميلاني كلاين، أوتورانك، آنا فرويد، أدلر، سبيتز... وغيرهم.

انصبحت اهتمامات مؤسسي مدرسة التحليل النفسي وعلى رأسهم سيجموند فرويد S. Freud التي اعتمدت دراساته حول نمو الطفل على مفهوم "الجنسية" "sexualité" (٢) التي أعطاه أهمية كبرى في الحياة النفسية للطفل، والنزوة الجنسية حسب فرويد هي نزوة معقدة كثيرة العناصر المتشابكة تمر بمراحل مختلفة حتى تصل إلى مرحلة النضج الذي يتميز به الراشد. وحينما يتحدث فرويد عن الجنسية الطفلية فإنه يتحدث عن جنسية لا تناسلية حيث يؤكد أنه من الضروري التفريق بين ما هو جنسي (sexuel) وتناسلي (génitale) حيث أن مفهوم جنسي هو الأعم، وهو يتضمن أعمالاً كثيرة ليست لها علاقة بالأعضاء التناسلية، (٣) حيث تشمل الحياة الجنسية للطفل على الوظيفة الخاصة بالحصول على اللذة والإشباع من بعض مناطق الجسم، وتدخل هذه الوظيفة فيما بعد في خدمة الوظيفة التناسلية. (٤)

حدد فرويد الحياة الجنسية وتطورها لدى الطفل في ثلاث مراحل هي:

- المرحلة الفمية stade orale: تتميز بارتباط اللذة الجنسية بإثارة الفم والشفيتين مع تلازم الغذاء والرضاعة.

^١ _ ملكة أبيض (٢٠٠٨): الطفولة المبكرة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت،

^٢ - S.Freud(1981): Introduction à la psychologie, traduit par, Jankélévitch, éd: Payot, Paris, p,291

^٣ - S.Freud(1977): la vie sexuelle, traduit par, La Palanche et Pantalès, éd: PUF, Paris, p, 9

^٤ - S.Freud(1978): abrégé de psychologie, traduit par, Berman, éd: PUF, Paris, p, 13

- المرحلة الشرجية stade anale: تتميز هذه المرحلة بتنظيم الليبدو تحت سيطرة المنطقة الشرجية.

- المرحلة القضيبية stade phallic: تتميز هذه المرحلة بتنظيم الليبدو تحت سيطرة المنطقة القضيبية (التناسلية).

واتجهت عالمة ميلاني كلاين M.klain لدراسة التكوين النفسي للأطفال وكانت لها طريقتها المتميزة في تحليل نفسية الأطفال، حيث اعتمدت على اللعب لجذب الأطفال كليا، وتوصلت إلى أن توضح في عالم خفي خيالي هومات المواضيع الجزئية للطفل التي تميز مختلف مراحل نموه، وكانت كلاين تعطي أهمية بالغة للقلق المبكر عند الأطفال في المراحل الأولى من النمو ولأخيلتهم (هوماتهم) اللاواعية في السنة الأولى، وكان رأيها أن قلق الأطفال وهوماتهم يمكن اكتشافها في موقف التحويل، ووصفت طريقتها في التحليل النفسي في كتابها الشهير "التحليل النفسي للأطفال" وكان هدفها أن تخلق منهاجاً للتحليل يخص الأطفال.^(١)

وقد ساهم علماء التحليل النفسي في فهم نمو الطفل بشكل جعلهم ينتبهون إلى أدق التفاصيل من الميلاد حتى سن المراهقة وما بعدها، حيث دفع الاهتمام بدراسة عالم الطفل بعض أنصار التحليل النفسي أمثال أوتورانك O.Rank إلى تفسير لحظة الميلاد والصراخ، حيث يعتبر لحظة الميلاد بمثابة أول صدمة يتلقاها الطفل في حياته تبقى آثارها باقية في اللاشعور، مما قد يدفع الإنسان في بعض الأحيان إلى الرغبة في العودة مرة أخرى إلى رحم الأم.

إن صدمة الميلاد Traumatisme de naissance في الميلاد هي: صدمة؛ في المقام الأول صدمة نفسية انفعالية عنيفة في حياة الطفل، حيث يحدث الميلاد تغييراً فجائياً في حياة الوليد فيوضع بذلك أساس الكبت الأولي الذي يجعل الإنسان يعاني من الشعور بالخوف والقلق طوال فترات حياته اللاحقة^(٢) وقد فند علماء الفيزيولوجيا هذه النظرة

^١ - فيصل عباس (١٩٩٨): الطفل: النمو النفسي والانفعالي للأطفال، دار الفكر العربي، بيروت

لبنان، ط١، ص: ١٣٢

^٢ - نفس المرجع السابق ، ص: ١٨

التشاؤمية لعلماء التحليل النفسي وحاولوا تفسير لحظة الميلاد الأولى (الصراخ) بدخول أولى جزيئات الهواء والأكسجين إلى رئتي المولود فتجعلانه يتألم مما يحدث ردة فعل بالصراخ عند الميلاد.

٢-١-٢ الطفولة في نظر الفكر التربوي:

ظهرت نظرة جديدة للاهتمام بعالم الطفولة، وأثيرت قضية التطور والحاجة إلى مجاراته، بل استباقه عن طريق الانعتاق من الأساليب التقليدية وإفساح المجال لمزيد من الحرية في العملية التربوية.

ومن المفكرين الذين أحدثوا تغييرا في النظرة إلى طبيعة الإنسان وعلاقته بالمجتمع؛ المفكر الفرنسي جان جاك روسو، وتعود مكانته في تاريخ تربية الطفولة إلى نظريته الجديدة المتميزة للطفل والطفولة، حيث أكد أن الطفل يولد ولديه ميول فطرية خيرة، ولكنه يفسد عن طريق احتكاكه بالمؤسسات الاجتماعية، وفي سبيل المحافظة على الطبيعة الإنسانية الخيرة والوصول من خلالها إلى مجتمع أفضل، على التربية أن تعني بالطفل وأن تتطرق في عملها من فهم الطفل، وعدم النظر إليه على أنه راشد صغير يجب أن يقلد الراشد في سلوكه.^(١) وساهم يوهان بستاالوتزي Y.Pestalozzi في فهم عالم الطفولة حيث تميزت مقارنته بخمس خصائص هي:^(٢)

(١) كان يوهان يهتم برعاية الأطفال الفقراء وتربيتهم دونما حدود، وكان يشعر بأن التربية هي مفتاح لتحسين حياتهم.

(٢) كان يؤمن بأن الأطفال يتعلمون بإتقان أكبر عن طريق التفاعل المباشر مع المحيط ومع بعضهم البعض، وألح باستمرار على أن المعرفة المتينة للبيئة الطبيعية وأشكال التفاعل

^١ _ ملكة الأبيض (٢٠٠٨) ، مرجع سابق، ص: ١٣

^٢ _ نفس المرجع ، ص: ١٤

الشخصي المستندة إلى الاحتكاك المباشر بالمحيط والآخرين ضرورة لإحراز المزيد من التقدم.

٣) حيث يكون الأطفال مشغولين باستكشافهم المباشر للمحيط أو بمهمات أخرى كان يوهان يشعر أن عليه مساعدتهم في تنمية تعبيرهم الشفوي، وكان قانعا بأن تنمية التعبير الشفوي لدى الأطفال تساعده فيما بعد في جهوده لتعليمهم القراءة والكتابة.

٤) كان يعتقد أن الأولاد الذين هم أكبر سنا وأكثر تقدما يمكنهم أن يساعدوه في جهوده لتعليم الأطفال الذين هم أصغر سنا.

٥) كان يوهان يركز على المهارات العملية والتربية التطبيقية.

ومن جهته أكد فريديريك فرويل F.Froebel أن السمات العاطفية لحياة الطفل هامة، وأن حياة الطفل العاطفية تتأثر كثيرا بالمحبة الأسرية، كما انتبه إلى أن الفروق الفردية في أي منهج تعليمي، يجب أن يأخذ بالحسبان في تصميم المنهاج الدراسي، وأن أي منهج تعليمي يجب أن يكون متصلا بخبرات الطفولة الخاصة وأشاد فرويل باللعب على أنه أكثر المهارات في تحقيق النمو الأمثل للطفل.^(١)

ومن أبرز المفكرين التربويين جون ديوي الذي انتقد التصلب الشديد في النظام التربوي، ودعا إلى وضع برامج وأنشطة تستند إلى اهتمامات الطفل وقدراته وإلى تنمية المهارات الاجتماعية والعلاقات الإنسانية لدى الطفل، ومن جهتها ساهمت المربية ماريا منتيسوري M.Montessori بتطوير الأساليب والمواد والطرائق التعليمية في تربية الأطفال العاديين والمتخلفين عقليا، كما ألحت في برامجها على أهمية تنظيم المحيط الذي يتعلم فيه الأطفال.

ومن التربويين العاملين في ميدان الطفولة العالمية الأمريكية اببغيل اليوت A. Eliot من الأوائل الذين أبرزوا أهمية العلاقات بين المعلمين والأولياء وبين المعلمين والأطفال، ولا عجب في ذلك فإن ميدان دراستها وتدريبها كان الخدمة الاجتماعية، وعبرت فلسفتها عن المبادئ الأساسية التالية للعناية بالأطفال:^(٢)

- الأطفال أشخاص شأنهم في ذلك شأن الراشدين.

^١ _ نفس المرجع السابق، ص: ١٦

^٢ _ نفس المرجع ، ص: ٢٦

- يجب النظر إلى التربية على أنها توجيه يؤثر في نمو الأطفال والراشدين.
- النضج والتعليم يسيران جنباً إلى جنب في عملية النمو.
- من الضروري أن نهدف في توجيهنا للأطفال إلى مساعدتهم على إنماء سمات التوازن لديهم أثناء عملنا على تزويدهم بما يحتاجون إليه لتحقيق ذواتهم ومن سمات التوازن المطلوب: الأمن والاستقلال، التعبير عن الذات وضبطها، الوعي بلذات ووعي الذات بالمحيط الاجتماعي، القدرة على الإبداع... الخ.
- ومن جهته سيطر جون بياجيه J. Piaget على ميدان علم النفس النمائي والتربوي حتى أضحت دراساته وأبحاثه المرجع الأساسي لكل العمليات التربوية حيث سعى إلى فهم العلاقة بين العمر وتطور التفكير عند الطفل وإلى توضيح التقدم التدريجي لإمكانيات الطفل العقلية وأكد على أربع مراحل في تطور الذكاء وهي: (١)
- * المرحلة الحسية الحركية: وفيها يعتمد الطفل رد الفعل على الحركة أساساً.
- * مرحلة ما قبل العمليات: حيث يتكون نظام التطورات والكلام والاتصال.
- * مرحلة العمليات المحسوسة: وتختص بضرورة القيام بمختلف الأعمال المتعلقة بالأشياء المحسوسة والمرئية.
- * مرحلة الأعمال الصورية الشكلية: حينما يتكون التفكير النظري والمجرد المستقل نسبياً عن الأحداث أو الظواهر المحددة في العالم المحيط بالطفل.
- ويعتقد بياجيه بوجود عمليتين أساسيتين لكل نمو عضوي وهما التمثيل Assimilation وهو عبارة عن عملية يعبر بها الفرد المعلومات التي يستقبلها حيث تصبح جزءاً من تكوينه المعرفي، والعملية الثانية هي المواءمة Accommodation هي توافق يكون على الفرد أن يقوم به إزاء العالم الخارجي حتى يتمثل المعلومات.
- وجدير بالذكر أن بياجيه ساعدت اكتشافاته على تخطيط تربوي ومناهج تعليمية وآراؤه كانت قادرة على وضع فلسفة تربوية تحقق التوازن بين الإجراءات التدريسية التي يعوزها التطوير وبين إمكانيات الطفل السلوكية واحتياجاته المتغيرة وتبنت المدارس التربوية الحديثة ما أسماه بياجيه "التعلم بالاكتشاف".

^١ - فيصل عباس (١٩٩٧)، مرجع سابق، ص: ٥

٢-١-٣ نظرية الطفل رجل صغير: لقد كان لهذه النظرية أثرها الفعال في القرن ١٨ و ١٩ فقد رأى المفكرون والمربون حينئذ أن الطفل رجل صغير وأن تفكيره واهتماماته وميوله ونشاطه تماثل ذلك المكتمل النمو،^(١) لكنه في دائرة أضيق وأصغر، فكان لزاماً على الأطفال أن يرتدوا مثلما يرتدي الكبار ويخضعون للمعايير الخلقية التي يخضع لها الراشدون ويعاملون معاملتهم إذا ما ارتكبوا هفوة أو خطأ.

ولا ننسى إسهامات المفكر التربوي جون جاك روسو الذي أرسى قواعد التربية في دراسة الطفل ونادى بالرجوع إلى الطبيعة وأخذ الطفل بم يُلاءم قوامه وميوله، وهاجم كل النظريات التي نادى بأن الطفل شرير بطبعه، وأعلن أن الطفل خير بطبعه وأن الشر لا يأتي الطفل إلا بمخالطة المجتمع الفاسد.

٢-١-٤ الطفولة في نظر علماء الاجتماع:

يرى علماء الاجتماع أن بناء الشخصية وتكوين القدرات العقلية وتشكيل الوظائف المعرفية لدى الطفل هو انعكاس للواقع الثقافي الاجتماعي الذي يعيش فيه هذا الطفل، فالطفل لا ينمو من تلقاء نفسه بل يتشكل ويتغير ويرتقي كشخصية سوية بقدر ما توفر له البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها معطيات هذا التطور وحجمه من عوامل تربوية واجتماعية.

وجرى التشديد على دور الأسرة وكل المؤسسات القائمة على التنشئة الاجتماعية على رعاية الطفل، وقاد ذلك إلى إثارة قضية التقارب الاجتماعي وإبراز حاجة إلى التدخل لكسر حلقة الفقر وتحسين التحصيل الدراسي لدى أبناء الأسر المحرومة. وتهدف التنشئة الاجتماعية للأطفال إلى تعليم الأفراد الأدوار التي يتوقع منهم أن يؤديها خلال تفاعلهم الاجتماعي مع الآخرين، وفي مراحل حياتهم المختلفة، والتنشئة الاجتماعية مستمر مدى الحياة لكن ما يتم منها في مرحلة الطفولة يمثل الأساس الذي تقوم عليه الأشكال التي يتعرض لها الفرد في المراحل العمرية اللاحقة.^(٢)

^١ - حسين عبد الحميد أحمد رشوان (٢٠٠٧)، مرجع سابق، ص: ٨

^٢ - ملكة الأبيض (٢٠٠٨)، مرجع سابق، ص: ٥٩

واتجه علماء الاجتماع لدراسة عالم الطفل وربطه بعالمه الاجتماعي، ومن الرواد الذين اهتموا بمثل هذه الدراسات العالم برنشتاين Birnchtain الذي أجرى تجاربه في إنجلترا سنة ١٩٦٨، وقد بينت تجاربه أن الثقافة الفرعية تنقل لأفرادها أساليب مختلفة في الحديث، وبالتالي أساليب مختلفة في التفكير.

لقد أجرى برنشتاين تجاربه على أطفال صغار ينتمون إلى الطبقة العاملة والميسورة ووجد أن ثقافة الطبقة العاملة تتضمن أسلوبا خاصا في الحديث يتميز بطبيعة الطبقة إلى حد بعيد، فالجمل في هذا الأسلوب قصيرة والجمل المتعلقة بالجمل الرئيسية محددة، وأخيرا إن الحركات الجسمية تستعمل بصورة شائعة للتعبير إلى جانب الكلام.

ويسمى برنشتاين هذه اللغة البسيطة من حيث التركيب "اللغة المحدودة" ويرى أن الأفراد الذين ينشئون على استخدام هذه اللغة ينشئون بالتالي على التفكير بطريقة بسيطة بالرغم من أن القدرات الفكرية الفطرية لقسم منها تؤهلهم إلى تفكير أكثر تعقيدا. أما في الثقافة الفرعية للطبقة الميسورة المثقفة فالأطفال يسمعون حديث آبائهم الذين يولون أهمية كبرى للتعبير الشفوي، وهذه اللغة أكثر تعقيدا يسميها برنشتاين "اللغة المتقنة" وتقدم للذين يستخدمونها إمكانية التفكير بصورة أكثر تعقيدا وتجريدا مما تعطيه اللغة المحدودة.^(١) إن ابن الطبقة الميسورة يستطيع فهم اللغتين، ولكن ابن الطبقة العاملة إذا نشأ على اللغة المحدودة يجد صعوبة في ترجمة اللغة المتقنة إلى شيء يفهمه، كما أشار برنشتاين أن بين اللغتين المتطرفتين نجد لغات متعددة تمتزج فيها الخصائص بدرجات متفاوتة حسب موقع الأسرة في البنيان الاجتماعي والمنتشأ الطبقي.

ومن جهته حاول دوركايم أن يقدم صورة عن كيفية انتقال الفهم والأفكار إلى الأطفال، وأكد على دور المجتمع في تشكيل شخصيته، حيث يقول في ذلك: "إنه لا يكفي أن نقوم بملاحظة الطريقة نتبع في تربية الصغار لنرى لأول وهلة أن جميع أنواع التربية تنحصر في ذلك المجهود المتواصل الذي نرمي به إلى أخذ الطفل بألوان من الفكر والعاطفة والسلوك الذي كان يستطيع الوصول إليه لو ترك هو وشأنه".^(٢)

^١ - ملكة الأبيض (٢٠٠٨)، مرجع سابق، ص: ٦٢

^٢ - حسين عبد الحميد أحمد رشوان (٢٠٠٧)، مرجع سابق، ص: ٩

٢-٢ النظريات المفسرة لاكتساب القيم:

حاول العلماء فهم وتأطير القيم من خلال تصورات نظرية مختلفة ومتباينة، وذلك كونها تمثل أحد المصادر الدائمة للحركة الإنسانية.^(١)

وسنحاول التطرق إلى هذه النظريات التي حاولت تفسير اكتساب القيم بدءاً بنظرية التحليل النفسي والنظرية السلوكية والمعرفية والمثالية، وكذا القيم عند علماء النفس الاجتماعي، وانتهاءً بالنظرية الاجتماعية:

٢-٢-١ نظرية التحليل النفسي:^(٢)

يرى التحليل النفسي أن اكتساب القيم يبدأ في مرحلة الطفولة، يقوم الأولياء بتعليم طفلهم القواعد الأخلاقية والقيم، ولما يتقصرها يتشكل عنده "الأنا الأعلى" و"مثالية الأنا" وهما مصدر كل أحكامه الخلقية والقيمية فيما بعد.

يؤكد أنصار مدرسة التحليل النفسي أن نمو القيم يسير في توازٍ مع النمو الجنسي والنفسي للطفل، حيث يرتبط مفهوم القيم بأحد مكونات الجهاز النفسي هو "الأنا الأعلى" أي الضمير، ويكون ذلك من خلال عملية التوحد والتقصص للوالدين، حيث يقوم الوالد بدور ممثل النظام فيعلمانه القواعد الأخلاقية والقيم والمثل العليا للمجتمع الذي يعيش فيه.

ويؤدي خوف الطفل من العقاب ورغبته في تقبل الآخرين له إلى أن يطابق بين نفسه والتعاليم الخلقية، ويوحد بينه وبين شخص عندما يكون مستعداً لامتناع القيم ومختلف جوانب الثقافة، وبذلك يتكون "الأنا الأعلى".

أورد سيجموند فرويد رائد التحليل النفسي مكونات الجهاز النفسي المتمثلة في الهو (الذي يمثل اللاشعور) والأنا (الذي يمثل الشعور) والأنا الأعلى (الذي يمثل عالم المثل والضمير)، ويرى بأن هذه المكونات هي قوى متصارعة مع بعضها البعض، ولكي يتم اكتساب القيم والتربية الخلقية، وجب تدعيم وتقوية الأنا الشعورية لتتحمل ضغوط الهو والأنا الأعلى.

^١ - شبل بدران (٢٠٠٢): القيم التربوية في مسرح الطفل، دار المعرفة الجامعية، ط١، ص: ٢١.

^٢ - إبراهيم عصمت مطاوع (١٩٩٥): أصول التربية، دار الفكر، القاهرة، ص: ١٢٠، ١٢٢.

تختزن القيم في الجزء المثالي للشخصية (الأنا الأعلى) وهو يتسم بالصرامة ويعبر عما يمثله الفرد من قيم ومعايير المجتمع الملزمة، وهنا تشير مدرسة التحليل النفسي لكيفية اكتساب القيم من خلال التقمص بالوالدين أو من ينوب عنهما في عملية التنشئة الاجتماعية، وهي إن لم يذكروا ذلك بصراحة، إلا أننا يمكن أن نفهم ضمناً أن القيم في ميزان التحليل النفسي تكتسب ضمناً بالتوحد والتقمص مع النموذج أو القدوة.

٢-٢-٢ النظرية السلوكية:

تكتسب القيم عن طريق التعلم وبمساعدة ميكانيزمات "الإشراف" و"التعزيز" بنوعيه الإيجابي والسلبي. فالقيم عند السلوكيين هي مجرد استقراء واستنتاج من السلوك الظاهر للفرد، القيم هي سلوك يكتسب بواسطة تفاعل الفرد مع مثيرات بيئته. وهناك اتجاهان في النظرية السلوكية في تفسير اكتساب القيم وهما: (١)

أ- اتجاه التعلم الإشرافي: والتي يتزعمها سكينر وبافلوف وثورندايك ويقوم هذا الاتجاه على مفهوم المثير - استجابة ويضاف لها مفهوم التعزيز، ونادت بأن الطفل يتعلم الصفات الأخلاقية والقيم كاستجابة لمثيرات مثل الأب والأم خلال عملية التربية الأسرية وارتباط الإنسان بما حوله بعلاقات تظهر مثيرات تحل محل المثيرات الأولية، وتسبب استجابة بنفس القيمة السابقة، وقد يكون هذا المثير البديل (معلم، إمام مسجد، مسرح...) وتؤكد هذه النظرية على دور التعلم في اكتساب القيم من خلال تقليد القدرة أو النموذج الأصلي، أو يحل محل الوالدين أو من يقوم على التنشئة الاجتماعية.

ب- اتجاه التعلم الاجتماعي: ومن أنصارها العالم باندورا، ودولاردو والذين نادوا بأن تعلم القيم يتم عن طريق المحاكاة والتقليد من الطفل للقدوة أو النموذج الذي يمثل أحد الوالدين أو من يحل محلهما وذلك لكسب رضاهم وحبهم، هنا يكتسب الطفل قيم سلوكيات بصورة غير مباشرة ويدعم هذا السلوك، أو القيمة عند إثابته عليه، وأضاف ماكيني Mackinie أن اكتساب القيم يقوم على الملاحظة من الطفل والإحساس بعد ذلك بما هو خطأ بعد حصوله على المكافأة عن العمل الجيد والصائب وهو التعزيز.

^١ - المرجع السابق، ص: ١٢٢، ١٢٣

يؤكد هذا الاتجاه أهمية التدعيم في اكتساب القيم من خلال تقليد القدوة أو النموذج المعروف، وهذا يدعم جزءا هاما في التعريف الإجرائي للبحث في أن القيم يجب أن تحظى بقبول الجميع عموما.

٢-٢-٣ النظرية المعرفية: يرى المعرفيون أن القيم والأخلاق تنشأ من محاولة الفرد تحقيق توازن بين قدراته المعرفية وبين علاقاته الاجتماعية. ويعد جون بياجيه من رواد هذه المدرسة. وقد عني بدراسة النمو الخلقي عند الطفل وكيف يكتسب إصدار حكما خلقيا على الأشياء.^(١)

يرى جون بياجيه أن اكتساب القيم وارتقاؤها مرتبط بالتغيرات في الأبنية المعرفية للفرد عبر مراحل النمو المختلفة ويكتسب الفرد قيمه من خلال العمليتين الهامتين في نمو الطفل وهما: التمثل والموائمة، حيث يمتص الطفل قيم مجتمعه الخارجي وبطابقها مع ما هو موجود لديه في بنائه العقلي المعرفي وبذلك يحول ما هو ملموس من سلوك إلى شيء مجرد وهو القيمة التي تتبع من داخل الطفل، وقد قال بياجيه: "إن احترام الطفل للقواعد الاجتماعية والذي يظهر في نمو لعب الطفل من لعب عشوائي بدون قواعد حتى يصل في سن ١٢ سنة إلى قدرة الطفل على تعديل قواعد اللعب لتلائم المواقف الطارئة الجديدة".^(٢)

ميز بياجيه مرحلتين أساسيتين للنمو الأخلاقي القيمي وهما :

- الأخلاق الخارجية المنشأ.

- الأخلاق ذاتية المنشأ.

تركز هذه النظرية أن مصدر القيم هو المجتمع نفسه وأن الطفل لتمثلها لتصبح بعد ذلك جزءا منه في صورة سلوكيات بعد أن يوائمتها مع ما يدركه في بنائه العقلي المعرفي، إذن فكل ما يتعرض له الطفل قد يكون مصدرا لهذه القيم فيمتصها ويخرجها بعد ذلك في تعاملاته مع الآخرين في صورة سلوك.

(١) - سميح أبو مغلي، ومن معه (٢٠٠٢): التنشئة الاجتماعية للطفل، دار اليازوري، للنشر والتوزيع، عمان ص. ١٧٣.

٢- خزر عبد الحميد (٢٠٠٦)، مرجع سابق، ص: ٢٧

إلى جانب جون بياجيه يوجد أيضا العالم المعرفي لورانس كولبرج L.kolberg الذي تقوم أفكاره على أن فكرة الفرد على إصدار أحكام خلقية ترتبط بتفاعل الكائن مع بيئته، وأن نمو القيم والأخلاق يتم عبر مراحل متتالية ويركز كولبرج على التفكير الخلقى والقيمي على ما قبلها وتسير المراحل في تقدم ولا تراجع إلى الخلف، وقد قسم كولبرج في هذه المراحل إلى ثلاث مستويات: (١)

أ- **المستوى ما قبل المعرفي:** ويتأثر قيم وسلوك الطفل فيه بما يمسه مباشرة من نتائج مادية ملموسة من ثواب وعقاب ويعمل الطفل حسابا للقوة والسلطة وفيه مرحلتان هما:

- * التوجه بالعقاب والطاعة: بمعنى إتباع وطاعة الطفل لقيم السلطة لتجنب العقاب.
- * التوجه الوسيلى النسبي: حيث يتبع الطفل قيم وسلوك يجلب له الثواب مع تفهم جزئي لرغبات الآخرين.

ب - **المستوى المعرفي:** ويبدأ مع البلوغ والمراهقة حيث يساير الفرد قيم وعادات وعرف وقانون الجماعة، وقسم هذا المستوى إلى :

- * مرحلة توحد الولد الطيب والبنيت اللطيفة لإتباع قيم وسلوك الجماعة رغبة في إرضائهم ولو بصورة مبالغ فيها.
- * التوحد بالقانون والنظام ويخضع فيها لكل ما يتوافق والقانون لأنه أساس قيام المجتمع ولا يهتم بالاعتبارات الإنسانية الأخرى.

ج- **المستوى ما بعد المعرفي:** يتخطى فيه القانون ويتبع القيم والمبادئ الأخلاقية.

٢-٢-٤ النظرية المثالية :

تقوم المثالية على أساس أن "الفكرة" هي الحقيقة الوحيدة الصادقة في هذا الكون، فيعرف لالاند Lalande المثالية على أنها: "ذلك الاتجاه الفلسفي الذي يرجع كل وجود إلى "الفكرة" المعنى العام لهذه الكلمة". (٢)

١- علاء الدين كفاي (١٩٩٧): علم النفس الارتقائي، مؤسسة الأصالة، القاهرة، ص ص:

٢- شيل بدران (٢٠٠٢)، مرجع سابق، ص: ٣٦

إن فلسفة القيم فرع رئيسي من أفرع الفلسفة وبالتالي فإنه سيكون لها أفرع تمثل الموضوعات التي نبحثها، وهذه الموضوعات تتمثل في الاهتمام بدراسة القيم الثلاث التقليدية الكبرى وهي: الحق، الخير، والجمال.^(١)

القيم في إطار هذه الفلسفة تؤكد على نظرية المثل وعالم الواقع فيرجع المثاليون القيم إلى قوة روحية طبيعية، ومن ثم فهي تمت إلى ذلك العالم الثابت المطلق وهو عالم المثل المطلق وحياة الإنسان ما هي إلا محاولات للاقترب من عالمها، والطفل يجب أن يتعلم العيش بقيم ثابتة حتى يكون منسجما مع الكل الروحي المنتمي إليه.

ويعتبر أفلاطون أبو الفلسفة المثالية، حيث تعتبر "نظرية المثل" الأساس الفلسفي الذي بنى عليه فلسفته التربوية ذات الخصائص المميزة، فالمثل العليا هي الخير المطلق والفضيلة العليا هي العدالة، حيث تنشأ الفضيلة كنتيجة لتوازن القوى النفسية المختلطة وهي: العقل، الغضب، الشهوة، بحيث تكون في تعادل تام.

تعطي المدرسة المثالية أولية مطلقة للقيم، أي أن القيم قد حددت فيما سبق سواء بواسطة مصدر إلهي أو عقلانية الإنسان، فعالم القيم هو عالم سابق في الوجود، ويعرف عن طريق الحدس الجدلي للعقل الجدلي، ومن أهم مناصري هذا الاتجاه الفيلسوف كانط.

٢-٢-٥ نظريات القيم عند علماء النفس الاجتماعيين:

يرى علماء النفس الاجتماعيين أن القيم ليست مطلقة، أن القواعد الأخلاقية ليست حقيقة موضوعية وإنما هي تعكس قيم الجماعة، بمعنى أن القيم متفق عليها بين الأفراد.^(٢) وفيما يلي عرض لأهم ثلاث نظريات نفسية اجتماعية للقيم:

* نظرية القيم عند "س.ه. شوارتز" (S.H. Schwartz, 1992)

يرى س.ه. شوارتز أن القيم تتولد نتيجة حاجات الجماعات والمؤسسات الاجتماعية، فمثلا الحاجة للجنس تحول إلى قيم مثل الحب أو الصداقة.^(١)

^١ - عبد العزيز محمد (٢٠٠٨): القيم الفلسفية الكبرى، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية،

ص: ٨

^(٢) - محمد أحمد بيومي (١٩٨١): علم اجتماع القيم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص.

يعتمد س.هـ. شوارتز في تصنيفه للقيم على مفهوم "الدافعية" تتجمع القيم مع توقعات الأفراد، إن قيم الأفراد وتوقعاتهم تجاه وضعية معينة تجتمعان معا لتولد دافعية الفرد للقيام بسلوك معين، وبهذا يمكن تصنيف القيم بحسب الدوافع التي تعبر عنها، وقد رأى س.هـ. شوارتز أن الأفراد في العديد من الثقافات يميزون ضمناً بين عشرة أنماط من القيم الدافعية وهي كالتالي:

- العطف (la bienveillance): تهدف إلى الحفاظ على راحة الأفراد.
 - العادة (la tradition): الالتزام بالتقاليد الثقافية والدينية.
 - الإمتثالية (conformité): تملّي الأفعال والاندفاعات غير المقبولة اجتماعياً.
 - الأمن (sécurité)
 - السلطة (le pouvoir): التحكم في الأشخاص ومصادر الثروة.
 - الإنجاز (accomplissement): إظهار الكفاءات التي تملّيها النماذج الاجتماعية.
 - المتعة (hédonisme): اللذة ومتعة الحواس.
 - الإثارة (stimulation): التحدي، التجديد.
 - الكونية (universalisme): التسامح والحفاظ على البيئة وكل البشرية.
 - التسيير الذاتي (Auto-direction): الاستقلالية من خلال الفعل.
- وتظهر هذه الاتجاهات في مختلف مجالات الحياة اليومية: السياسية، والدينية، والأسرية، والعلاقات الاجتماعية والودية، التربية، الصحة، الاستهلاك والعمل.^(٢) وهكذا يمكن تلخيص نموذج "شوارتز" كما يلي:
- القيمة هي تصور، يصل إليه الفرد انطلاقاً من هدف موضعي أو نهائي أو سلبي، يعبر عن اهتمامات فردية أو جمالية تخص ميدان الدافعية مثل المتعة، والنجاح، والسلطة، والأمن... الخ. ويقدر الشخص أهمية كل قيمة باعتبارها مبدءاً للتوجه في حياته على سلم ذو ٩ أصناف يبدأ بالصنف "ليس مهم أبداً" ويصل إلى الصنف "مهم جداً".

(1) - M.P. Cazals – Ferré, P. Rossi, Éléments de psychologie sociale, Armand Colin, Paris, P. 26.

(2) - Ibid, P. 27.

ولقد صمم أداة لقياس القيم سماها "سلم القيمة حسب شولتز"، ويتكون من ٥٦ سؤال يغطي الميادين العشرة للدافعية كما جاءت في نظرية شولتز، حيث يقوم الأشخاص بتقدير مختلف بنود السلم وفق تسعة نقاط. والجدول الموالي (١) يشرح هذا النموذج:

الميادين	الدوافع	الخصائص	ضروريات مشبعة
١- التسيير الذاتي	أفكار وأفعال مستقلة	إبداع، فضولية، احترام الذات، استقلالية، انتقاء أهداف شخصية.	ضرورة شخصية لضبط المحيط، التفاعل، الاستقلالية وحرية الإرادة.
٢- الإثارة	تنبيه، تنوع وتحدي	حياة متنوعة، مثيرة ومشهورة	الإثارة للاحتفاظ بمستوى أدنى من التنشيط.
٣- المتعة	لذة أو تثمين حواسي	لذة، التلذذ بالحياة.	ضروريات عضوية ولذة مرفوقة بإشباع.
٤- النجاح	نجاح شخصي من خلال إبراز الكفاءات.	طموح، استطاعة، تأثير، فوز، ذكاء.	الكفاءة للحصول على موارد وقبول اجتماعي.
٥- السلطة	مشاريع طموحة مرتبطة بالمكانة والسلطة ضبط وسيطرة على الأشخاص والموارد.	الاعتراف والسلطة الاجتماعية، الاحتفاظ بالصورة العامة، سلطة وثناء.	مستلزم أولوي يتمثل في البقاء الفردي والجماعي.
٦- الأمن	الأمن، الاتساق وتوازن المجتمع، والعلاقات والذات.	تبادلية المعروف، الإحساس بالانتماء الأسري والوطني وبالنظام الاجتماعي.	تنشيط الميولات الفردية المضرة بالتوازن المتسق للجماعة.
٧- الامتثالية	تضييق الأفعال، والنزوات، والميولات التي بإمكانها	الطاعة، تهذيب ذاتي، اللطف، احترام الأولياء والأشخاص	التعبير عن التضامن واحترام تفرد الجماعة.

	المسنين	الإضرار بالأشخاص أوالتعدي على التوقعات أوالمعايير الاجتماعية.	
ضرورة التفاعل الإيجابي لصالح الجماعة، ضرورة التحام.	احترام التقاليد، الاعتدال، الخضوع، التحفظ.	التقبل، احترام الأفكار، الاتفاق، احترام العادات والطقوس التي تفرضها الثقافة والدين.	٨- التقليد
ضرورة بقاء الأشخاص والجماعات عندما تكون الموارد الجماعية الأساسية محدودة.	أمانة، المسؤولية، صداقة حقيقية، نضج في الحب، معنى الحياة، حياة روحية، الوفاء.	المتابعة والحفاظ على راحة الآخرين.	٩- العطف
	المساواة، العدل، السلم، المشاركة مع الطبيعة، الدفاع على الطبيعة، التوازن الداخلي.	الفهم والتسامح والشفقة والحفاظ على راحة الآخرين والحفاظ على الطبيعة.	١٠- الشمولية

الجدول (١): ميادين القيم وخصائصها حسب شوارتز

مصدر الجدول: بوفولة بوخميس(٢٠٠٩): أنساق القيم وتصورات الأحداث المنحرفين
لأساليب التربية الوالدية، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع الجنائي، قسم علم
الاجتماع،جامعة باجي مختار عنابة

* نظرية القيم عند "ت. توماس" و"ف. زنانيكي" (T. Thomas, F.Znaniacki, 1918) يرى "توماس" و"زنانيكي" أن القيم هي تلك القواعد الرسمية الظاهرة للسلوك والتي
تساهم في استمرار الجماعة وتنظم وتجعل أنماط الأفعال المتصلة دائمة وعامة بين

أعضائها^(١). لقد قاما بمقارنة القيم والاتجاهات: فالقيم عندهما هي >> موضوعات لها معنى عند أعضاء المجتمع، أما الاتجاهات فهي الخصائص الذاتية للأفراد في المجتمع نحو القيم، ويشكلان معا النظرية الاجتماعية <<.^(٢)

وقدم بعض العلماء نقدا لهذه النظرية تمثلت أهم محاورها في:

- لم يوضحا جيدا الفرق بين "القيم" و"الاتجاهات".
- لم يحددا كيف تأثر القيم في الاتجاهات والعكس (العلاقة الجدلية بينهما).
- تعريفهما للقيم كان في شكل إثارات مجازية خلقت اللبس والغموض لما يتطرقا إلى القيم السالبة.^(٣)

* نظرية القيم عند فاريز^(*) (Faris):

رأى "فاريز" أن القيم تكافئ الاتجاهات، والقيم العامة للجميع هي عبارة عن اتجاهات اجتماعية. وهذه الأخيرة هي المظاهر الذاتية للقيم. لقد استبدل فاريز "القيم الجماعية" بـ "الاتجاهات الجماعية"، كما استبدل "القيم الشخصية" بـ "الاتجاهات الذاتية".^(٤)

٢-٢-٦ نظريات القيم عند علماء الاجتماع: هناك اتجاهات في علم الاجتماع فيما يخص دراسة القيم يمكن تلخيصها فيما يلي:

- اتجاه يرفض دراستها باعتبارها لا علمية، ويمثل أصحابه علم الاجتماع العلمي.
 - اتجاه يساند دراسة القيم ويمثل أصحابه علم الاجتماع المعياري.
- وفيما يلي عرض وجيز لأهم النظريات الاجتماعية في القيم:

* نظرية القيم عند دوركايم (E. Durkheim, 1956)

اهتم "دوركايم" بالقيم الأخلاقية، وانطلاقا من اعتقاده أن الأخلاق هي ظاهرة اجتماعية، رأى أن نسق القيم يلعب دورا كبيرا في تحديد السلوك الاجتماعي.

(١) - محمد أحمد بيومي، مرجع سابق، ص. ١٠٦.

(٢) - نفس المرجع، ص. ١٠٦.

(٣) - نفس المرجع، ص. ١٠٧.

(*) مختص في علم النفس الاجتماعي.

(٤) - محمد أحمد بيومي، مرجع سابق، ص. ١٢٢.

لقد تطرق دوركيم إلى تأثر نسق القيم بالتغيرات التي تحدث في المجتمع. وعن مصدر القيمة لا يفرق دوركيم بين ما هو "مثالي" وما هو "واقعي" أو بين "القيمة" و"الواقع". إن نسق القيمة والتقييم الأخلاقي للنسق القيمي لا يمكن أن انفصلهما عن الطبيعة الحقيقية للمجتمع،^(١) أكد إ. دوركايم أن الأخلاق والقيم الاجتماعية تتبع من المجتمع، تنهض الأخلاق على أسس اجتماعية لأنها تتغير بتغير المجتمعات.

يرى "دوركايم" أن الإنسان يجد نسقا تقليديا من المعتقدات والممارسات معد سلفا ويجب عليه أن يكيف ذاته معه، وهذا دليل على أسبقية الاجتماعي على ما هو فردي. إن القيم حسب "دوركايم" هي نتاجا اجتماعيا، أي أن القيم لها أسس اجتماعية.^(٢) يرى "دوركايم" أن التمييز الذي يمكن إجراؤه بين التضامن الآلي والتضامن العضوي مرده إلى تصورين هما: امتصاص الفرد في الوحدة الجماعية واعتبار المجتمع كنتيجة للجهود الفردية المنسقة والمراقبة. ويصر دوركايم على "موضوعية" القيم رغم أنه أفاد من قبل أنه يعامل الوقائع الاجتماعية بصفقتها أشياء.^(٣)

حدد دوركايم ثلاث مراحل لتطور الطفل الخلقي والقيمي هي: (٤)

- مرحلة الاستجابة السلوكية للنظام.
 - مرحلة التوحد مع الجماعة الاجتماعية بحيث يعكس الطفل أخلاقها.
 - مرحلة الاستقلال عندما يطبق الشباب الأخلاق بعد فهمها.
- ما يؤخذ على دوركيم أنه لم يهتم بموضوعين هامين: "صراع القيم" و"تغير القيم" كما لم يحدد ولم يصنف مكونات نسق القيم ولما يتناول "المشاكل النفسية" و"المعنى".^(٥)

(١) - محمد أحمد بيومي، مرجع سابق، ص. ٩٩.

(٢) - رمضان الصباغ (١٩٩٨): الأحكام التقييمية في الجمال والأخلاق، دار الوفاء، الإسكندرية، ص ص. ٥٠، ٥١.

(٣) - ر. بودون، ف. بوركو (١٩٨٦): المعجم النفدي لعلم الاجتماع (ترجمة: سليم حداد). ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص. ٤٥١.

٤- إبراهيم عصمت مطاوع (مرجع سابق، ص: ١٢٤)

(٥) - محمد أحمد بيومي (١٩٨١)،، مرجع سابق، ص. ١٠٢.

* القيم عند ماكس فيبر (max Weber):

تطرق ماكس فيبر إلى القيم لما تحدث عن عوامل التغير الاجتماعي في كتابه الشهير "روح الرأسمالية" حيث يرى فيبر أن القيم لها دور كبير في التغيير الاجتماعي، لقد تساءل فيبر على دور الأخلاق الكالفينية، المتمثلة في الزهد، والبحث عن الإنقاذ من خلال النجاح الاجتماعي، وبروز الرأسمالية في الغرب.^(١)

اعتبر ماكس فيبر أن دراسة المعنى أو نسق القيمة هو جوهر علم الاجتماع واهتم فيبر بالقيم والمعايير أو نسق المعنى الذي يشكل الفعل الاجتماعي، ويرى فيبر أنه للتمكن من تفسير الفعل الاجتماعي يجب وصل هذا الفعل بالمعنى أو بنسق القيم.

ويبين فيبر العلاقة السببية بين القيم والفعل الاجتماعي من خلال مفهوم شهير هو "الفهم" ويقصد به فهم الأنساق والمعاني الثقافية ودوافع ومقاصد الفرد الفاعل، ويتوصل الإنسان حسب فيبر على فهم معنى الفعل الاجتماعي بمنهجين: يتمثل الأول في مفهوم "التعاطف" ومعناه قدرة الشخص على أن يكون، تصوريا، في مقام الفاعل ومشاركته تجربته حتى يتمكن من فهم معنى الظاهرة، يتجلى مفهوم "النمط المثالي" ومعناه أن يتوصل الفرد إلى فهم كثير من القيم المطلقة عند طريق "الفهم الذهني أو الفكري" وليس عن طريق "التعاطف".^(٢)

يؤكد "ماكس فيبر" على أهمية "الطهرية" في تكوين الروح الرأسمالية. وتضمن الوحدة الاجتماعية، عند فيبر ودوركايم، بواسطة القيم المترسخة في الأفراد، وتصف هذه القيم بـ "النهائية" وتعتبر أنها مرتبطة بالتجربة الدينية.^(٣)

* نظرية القيم عند بارسونز (Talcott Parsons)

أكد "بارسونز" أن سلوك الإنسان لا يمكن فهمه إلا ضمن مفاهيم القيم. إن القيم عناصر أساسية في الفعل، وهي التي تفسر العلاقة بين الوسيلة والغاية، حيث يرى "بارسونز" أن مفهوم "الغاية" ليس محدود بالغايات الأمبريقية فقط بل هناك غايات متسامية

(١) - Jean Pierre Durand, Rbert Weil (sous la direction)(1997): **sociologie contemporaine**. 2^{ème} ed, Paris: Vigot, , P. 363.

(٢) - محمد أحمد بيومي (١٩٨١)، مرجع سابق، ص. ١٠٢.

(٣) - ر. بودون، ف. بوزكو، مرجع سابق، ص. ٤٥١.

أو مطلقة وهي التي تبرر الغايات الأمبريقية وتحدد وتضع القيم في الغايات المرغوبة للفعل. واعتقد "بارسونز" أن الغاية هي أحد عوامل الفعل فقط، أي الغرض هو توقع ذاتي لحالة مستقبلية مرغوبة، وتشكل هذه الغايات المطلقة حسب، بارسونز، نسقا تكامليا هو نسق القيم، وعلى عالم الاجتماع إذ يعمل على تحديد ما هي أنساق القيمة المطلقة المناسبة لفهم الفعل في مجتمع وزمان معين.^(١) ومن جهة أخرى يرى بارسونز أن مصادر التغيير الاجتماعي هي التحولات في القيم والتغيرات في النماذج.

وهنا نجد تأثير النموذج السيارنطقي والذي مفاده أن المعلومة أسبق من الطاقة. بما أن النسق الفرعي الثقافي هو الأكثر ثراءً بالمعلومة، فهو الذي يتحكم في النسق العام، وفي نفس الوقت جعلت التطويرية البارسونزية من سيروتي التمايز والتحسين التكيفي شرطا للتغيير الاجتماعي. بيد أن هاتين السيرويتين ضعيفتان معلوماتيا وقويتان طاويا أي إشراطيا. لقد ظهر ضعف النسقية السيارنطقية البارسونزية في تفسير التغيير الاجتماعي.^(٢)

* نظرية القيم عند مرتون:

هناك تشابه بين معالجة كل من "مرتون" و"بارسونز" لأنساق القيم، حيث افترض "مرتون" وجود علاقة وثيقة بين النسق المعياري أو القيمي وبين البناء الاجتماعي والسلوكي (الفعلي). لما لا يحقق نسق القيم الثقافية بعض الأهداف العامة للناس ككل تكون النتيجة اتساع نطاق السلوك الانحرافي.^(٣)

* نظرية القيم عند كارل مانهايم^(*) (Karl Mannheim):

حاول كارل مانهايم من خلال بحوثه في مجال علم اجتماع المعرفة إيجاد علاقة بين "علم الاجتماع" و"نظرية القيمة". وأعطى "مانهايم" أهمية للظروف التي تؤدي إلى ظهور القيم عند الإنسان وتتحكم في إدراكه وفكره وأفعاله. ومن هذه الظروف يذكر "مانهايم" الظروف البيولوجية، والإيكولوجية (الجغرافية) والاجتماعية وغيرها، ويرى أنه من الضروري عند دراسة "القيم" أخذ هذه الظروف بعين الاعتبار.

(١) - محمد أحمد بيومي، مرجع سابق، ص. ١٣٠.

(٢) - Jean Pierre Durand, Robert Weil, op.cit, P. 363.

(٣) - محمد أحمد بيومي، مرجع سابق، ص. ١٣٣، ١٣٤.

(*) - مختص في علم اجتماع المعرفة.

يُميّز "مانهايم" بين المعالجة الفلسفية والسوسيولوجية للقيم، فالفلسفة المثالية ترى القيم كصفات أبدية، فهي أوامر من الله أو هي قوى "متسامية"، وعلم الاجتماع يرى القيم كجزء لا ينفصل عن وظائف العملية الاجتماعية. القيم، حسب مانهايم، ليست مجردة ولا هي صفحات ذاتية لموضوع ما، القيمة لا يمكن أن توجد في موضوع أو نشاط في ذاته، فالوضعية تجعل الموضوع ذو قيمة؛ وبالنسبة لـ"مانهايم" فإن الوضعية المولدة للقيمة تتضمن ثلاثة عوامل هي:

- التنظيم (organisation).
- الوضعية (situation).
- التحليل (analyse).

وانتقد مانهايم علماء الاجتماع الذي كتبوا وبحثوا في القيم ودعاهم إلى الاعتراف بأن ما كتبوه عن القيم يرجع إلى خلفياتهم الثقافية التي نشئوا فيها.^(١)

* نظرية القيم عند ماكس شيلر (Max Scheler)

رأى "ماكس شيلر" أن القيم تنقسم إلى نوعين: قيم إيجابية وقيم سلبية، وأن أي قيمة لا يمكن أن تكون في آن واحد إيجابية وسلبية.^(٢)

* نظرية القيم عند سوروكين^(٣) (Pitirin Sorokin) رأى "سوروكين" أن القيم تكمن داخل قاعدة كل النظم الاجتماعية والاتجاهات، كما أن فهم القيم يقوم على أساس فهم الثقافة. على علم الاجتماع أن يهتم في الأساس بدراسة القيم، خاصة القيم الثقافية لأنها تساعد في تحليل الحياة الاجتماعية، إن دراسة الجماعات والأدوار والفعل الاجتماعي تكون دراسة جادة إذا فسرت على أنها متغيرات في أنساق القيم.^(٣)

* نظرية القيم عند هوارد بيكر (H. Beker)

(١) - محمد أحمد بيومي، مرجع سابق، ص. ١١٥.

(٢) - رمضان الصباغ، مرجع سابق، ص. ٩٢.

(٣) - سوروكين (Pitirin Sorokin) : أحد علماء الاجتماع الثقافي.

(٣) - محمد أحمد بيومي، مرجع سابق، ص. ١٢٥.

أشار "بيكر" إلى الكيفية التي تبرز بها الأنساق وتفرض أهميتها في المجتمعات المختلفة في عملية التغير المجتمعي من مجتمع ديني إلى مجتمع علماني. وعالج "بيكر" القيم وأنساق القيم على أنها "دينية" و"علمانية". نسق القيم الديني هو ذلك النسق الذي يمنع قيم الثقافة الجديدة من أخذ مكان القيم القديمة، ويمتاز هذا النسق بمقاومة كبيرة للتغيير. أما نسق القيم العلمانية فيفترض وجود تفاعل مجتمعي داخلي فعال. وقد لاحظ "بيكر" أن نموذجه هذا (قيم دينية وقيم علمانية) غير كاف في مجال البحث الاجتماعي فأضاف إليه ما يلي:

- المقدس الديني الشعبي.
- المقدس الديني المفروض.
- العلماني ذوالمبادئ.
- العلماني اللامعيارى.^(١)

* نظرية القيم عند س. ورايت ميلز (C. Wright Mills)

حلل "ميلز" القيم والبؤس الإنساني. لقد اهتم بالهوية الأخلاقية. لقد رفض نظرية بارسونز التي تنظر إلى المجتمع على أنه يتوازن بالضرورة ويستمر عن طريق مجموعة من النظم التي تؤدي وظائفها، ورأى "ميلز" أن هذه النظرية لا تفسر قوى التغير الاجتماعي بعيدة المدى وتكتفي بتفسير التغير الخاص بالتوازن، فمشكلة "القيمة" هي جوهر علم الاجتماع الكلاسيكي، كان علماء الاجتماع الكلاسيكيون مهتمين بثقافة المجتمعات وتحولها، وكانوا منشغلين بالمشاكل الخاصة والموضوعات العامة، وأعطوا اهتماماً للتاريخ وللتغير الاجتماعي.^(٢)

(١) - نفس المرجع، ص. ١٣٤.

(٢) - نفس المرجع، ص. ١١٩.

* القيم عند ف. كلوكهوهن: (F. Kluckhohn):

تكلمت كلوكهوهن عن نوع من القيم "المتنوعة" التي تدل على عدم الحتمية النسبية لنسق القيم. يقصد بالحتمية لنسق القيم أي أن القيم تظهر بشكل ثنائي التفرع (مرغوب فيه، غير مرغوب فيه) والإنسان هوبين هذا أو ذاك.^(١)

* نظرية القيم عند ف. ادلر^(٢) (F. Adler):

رأى ف. أدلر أن مفهوم القيمة له قيمة محدودة حتى وإن لم تكن محدودة. إن علماء الاجتماع النفسيريون هم الذين خلقوا مفهوم "القيمة" بغرض تفسير وفهم معنى الفعل الاجتماعي.

أما علماء الاجتماع العقلانيين فيرون أن هدف علم الاجتماع هو التنبؤ فقط ولهذا ليس له حاجة إلى دراسة القيم. وفي هذا الصدد يذكر ف. ادلر عن علماء الاجتماع ذكروا أربعة نماذج للقيم هي:

- القيم المطلقة: توجد في عقل الإله كأفكار خالدة، هذه القيم يمكن أن يتناولها العلم.
- القيم الكائنة في موضوع مادي أو غير مادي وهي لا تكتشف منفصلة عن السلوك الإنساني المتصل بالأشياء.
- القيم الموجودة في حاجات الإنسان البيولوجية أو القيم الموجودة في عقله: وهي تلاحظ عن طريق الفعل.
- القيم المكافئة للفعل.

وأشار ف. ادلر على أن علماء الاجتماع أخطئوا لما اعتقدوا أن المعنى أو السلوك الداخلي يضيف شيئاً لتفسير الفعل الاجتماعي. وأكد أن معنى الفعل فيما يمكن إثباته امبريقياً بمعنى أن الحوادث السابقة والمصاحبة واللاحقة للفعل هي التي تشكل معناه أو قيمته.^(٢)

(١) - ر. بودون، ف. بوركو، مرجع سابق، ص. ٤٥٤.

(٢) - ف. ادلر: عالم اجتماع يختلف عن ألفرد أدلر صاحبة نظرية عقدة النقص وعقدة التفوق في علم النفس.

(٢) - محمد أحمد بيومي، مرجع سابق، ص ص. ١٣٨، ١٣٩.

* نظرية القيم عند ر.س. ليند (R.S. Lynd)

بين ليند أن العلوم الاجتماعية يجب أن تستخدم للرفاهية الإنسانية، ويجب أن تحدد ما ينبغي أن يكون، ويدعو على أن تكشف بحوث العلوم الاجتماعية عن حاجة الإنسان للقيم أو الحرية، العلوم الاجتماعية المفيدة هي تلك التي تبين أي من النظم يخدم بفاعلية حاجات الإنسان وأي من النظم يعيق هذه الحاجات.

إن عالم الاجتماع هو محصلة ثقافية وبالتالي لا يستطيع التخلص من قيمه الثقافية، ولكي ينجح عالم الاجتماع وتقبل بحوثه عليه أن يختار مسلمات قيمية متناسقة مع قيم ثقافة موضوع دراسته وعليه أيضا أن يعبر عن مسلماته القيمية بوضوح بدلا من أن يذكرها ضمنا.^(١)

* نظرية القيم عند ر.س. فيلر (R.C. Fuller, 1938)

يعد فيلر من علماء الاجتماع الذين ربطوا بين "القيم" و"المشكلات الاجتماعية". لقد اعتبر "صراع القيم" بأنه مصدر أساسي للمشكلات الاجتماعية.

قال فيلر: "إننا كنا متحمسون جدا في جهدنا لإزالة الانحياز وأحكام القيمة من العقل الذي يقوم بتدريس المشكلات الاجتماعية لدرجة أننا قمنا بإزالة أحكام القيمة من النظرية التي ندرسها، وهذا خطأ أساسي فإننا بغباء أهملنا الشيء الجوهرى الذي، ليس فقط، يؤدي إلى ظهور المشكلة الاجتماعية في المحل الأول، ولكن أيضا يعيق حلها، وهذا هو الصراع بين مجموعتين أو أكثر من أنساق القيم".^(٢)

٢-٣ النظريات المفسرة للتنشئة الاجتماعية:

لقد حاول العديد من العلماء تحليل السيرة البنائية للتنشئة الاجتماعية وقدموا في ذلك أبحاثا عدة محاولين تحليل عملية التنشئة الاجتماعية، ومن بين هذه الاتجاهات نجد الاتجاه السلوكي، والسيكولوجي، وكذا الاتجاه الاجتماعي.

٢-٣-١ النظرية السلوكية:

(١) - نفس المرجع، ص. ١١٨.

(٢) - Fuller, T.C. "The problem of teaching social problems", A.J.S., vol. 44 (November, 1938), n°: 3, PP. 415-435

اهتمت النظرية السلوكية بموضوع التنشئة الاجتماعية وقدمت تفسيرات متنوعة بخصوص تعلم الأطفال، حيث تقوم التنشئة الاجتماعية كغيرها من المفاهيم الأخرى على عملية التعلم، هذا الأخير الذي يقوم على اكتساب المنعكسات التي استخدمها بافلوف في العديد من أبحاثه على الحيوان والتي أسماها المنعكسات الشرطية حيث بنى Pavlov عن طريق الترويض والتدريب في عضوية الجهاز العصبي الفيزيولوجي في الحيوان منعكسا أسماه المنعكس الشرطي. وقد ذهب في ذلك إلى حد تعميم هذه النتائج على مختلف أنواع السلوك الإنساني حيث أكد أنه يمكن الاستفادة من هذه التجارب في معرفة المزيد من اكتساب الإنسان للسلوك.

والتنشئة الاجتماعية للفرد حسب وجهة نظر السلوكيين (Pavlov - Watson) تقوم على تدريب الطفل على تكرار الحركات الحسنة والتهذيب والتي يقصد من خلالها تنمية المنعكسات المشروطة فيه، وعن طريق التعزيز بالمحاولات والخطأ وتطبيق الثواب والعقاب والتجارب والأخطاء. فتنم للطفل التنشئة الاجتماعية والتي تعتمد على التعلم بصورة أساسية أي على تعلم الاستجابات المناسبة للمواقف والأحداث والأشياء الخارجية التي تفعل فعلها كمؤثرات. هذا التعلم يتم على الأخص عن طريق التكرار وبحكم الجزاء.^(١)

ومن أهم علماء هذا الاتجاه بالإضافة إلى بافلوف Pavlov نجد: ثورندايك Thorndike باتشراف Betcherev، وواطسن Watson وسكينر Skinner.

فقد كان ثورندايك أول من أشار إلى العلاقة بين مثيرات المحيط واستجابات الشخص لها وذلك عن طريق تكرار التجارب، ورأى أن الأفعال المكررة لا تكون فعالة إلا إذا صحبها عقاب أو مكافأة وهذا ما سماه " قانون الأثر ". حيث ربط ثورندايك بين التعلم والدافعية، ومن جهته أكتشف " بافلوف " ما يعرف " بالمنعكس الشرطي " أو " الاشرط الكلاسيكي " تمييزا له عن " الاشرط الإجرائي " الذي جاء به "سكينر"، ومن خلال هذا " الاشرط الكلاسيكي " أظهر " بافلوف " وجود علاقة أولية بين النشاط النفسي والمخ، ورأى النشاط العصبي العلوي

^١ - صالح محمد علي أبو جادو (٢٠٠٠): سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار الميسرة للنشر

والتوزيع و الطبع، عمان، الأردن، ص: ٤٧

أنه تنبيه وتنشيط، وفسر الفروق الفردية في السلوك بشدة سيرورات التنبيه والتنشيط وكثافتهما وسرعتهما.

أما " باتشراف " فيؤكد أن السيرورات النفسية والذاتية هي نتاج الضغط العصبي أو حالة التيار العصبي في بعض ساحات القشرة المخية. وكان " واطسن " حريصا على جعل التجربة الداخلية للإنسان قابلة للتفسير انطلاقا من سلوكه الخارجي، ورأى دور الوراثة ضعيفا في السلوك الإنساني فجزء كبير من السلوك هو مشروط اجتماعيا.

تتكون الشخصية بواسطة ميكانيزم التعلم الذي يعني كل تغير في السلوك أوفي النشاطات النفسية بسبب تجربة الشخص، والتعلم أيضا هو اكتساب وتصميم أنساق العادات تحت تأثير قانونين: قانون التواتر ومعناه أن تكرر بعض الوضعيات يؤدي إلى تكون العادات، وقانون التجدد ومعناه أولوية العلاقات بين المثيرات والاستجابات الجديدة على المثيرات والاستجابات القديمة. ويدافع " واطسن " على فكرة أن العادات المركبة ما هي إلا تجمع لعادات بسيطة، وألح على أهمية بنية العادات ودورها في الاحتفاظ بما سبق تعلمه، فكل اكتساب جديد يدمج مع الاكتسابات السابقة ويغيرها وفي نفس الوقت يندمج فيها، وهذا الاكتساب الجديد سيتأثر ويتغير بواسطة الاكتسابات اللاحقة؛ وحسب واطسن يرجع السلوك الخاطئ إلى التعلم الخاطئ وبالتالي يعالج بواسطة تقنية "عادة الاشرط ". إن شخصية الراشد هي ناتج عن اشرط محيطي وبالتالي يمكن دمجه كما نريد نحن ذلك، ثم جاء الباحث الأمريكي "سكينر" بنظريته عن "الاشراط الإجرائي " والذي يعني احتفاظ الفرد بالسلوك المكتسب إذا كان معززا إيجابيا، ونسيانه إذا كان معززا تعزيرا سلبيا.

وقد بين " سكينر " طريقة تجريبية؛ أن بعض أحداث المحيط تلعب دور " الشرط " لتعزيز أو عدم تعزيز استجابة معينة، ويرى أن أحداث الوسط يمكن أن تتغير، فالسلوك الناتج عن مثير ليس سلوكا أوحدا، بل هناك عدة سلوكات ممكنة والشخص يختار من بينها الاستجابة الأكثر تكيفا بفضل التعزيز الذي تلقاه هذه الاستجابة المختارة، الوسط يحدث السلوكات وإنما ينتقيها ويحفظها أو يزيلها، والفرد هو الذي يبنى أنماط من السلوكات الملائمة أو غير الملائمة.

وجهت الانتقادات إلى هذه النظرية بسبب تعريفها التجريبي إلى حد الإفراط للسلوك الإنساني وللتربية. واتهمت كذلك بإهمال الغائية التي سعى الفرد في سلوكه وتصرفاته وبميله

إلى أن يعامل هذا الفرد الإنساني وكأنه آلة، ومن أجل الرد على مثل هذه الانتقادات أنشأ بعض علماء النفس السلوكيين طرائق نظرية جديدة قائمة على الأخذ بعين الاعتبار المؤثرات الخارجية والوراثية؛ بحيث يمكن الاعتراف بأنه لا يمكن أن نعطي تفسيراً مرضياً عن التعلم دون أن ندع مجالاً لمفهوم الدلالة التي يستخدمها بالنسبة للفرد ومن يحيطون به والذين هم عناصر فاعلة في عملية التعلم ودون أن نحسب حساباً للعلاقات الإنسانية لأن الإنسان لديه طاقة تكوينية في حين أن الآلة هي قوة محرّكة.

٢-٣-٢ النظريات النفسية :

هناك مساهمات عدة للنظرية النفسية في فهم صيرورة التنشئة الاجتماعية، وعلى رأسها مساهمة التحليل النفسي وما أكدّه بياجيه في أبحاثه وكذا أنصار المدرسة النفسية الثقافية.

أ- التنشئة الاجتماعية حسب التحليل النفسي: لقد ساهم التحليل النفسي في تفسير التنشئة الاجتماعية وعلى رأسهم فرويد ثم لحقه فيما بعد تلاميذه "آنا فرويد" و"ميلاني كلاين" و"ألفرد أدلر" و"كارل جوستاف يونج" و"كارل أبراهام" و"أوطورنك" وقد أدرج ذلك في أربع نقاط أساسية أهمها: (١)

- علاقة الطفل مع والديه.
- التجاذب الوجداني.
- النقلة Le transfert.
- الأنا الأعلى.

فيكون الأنا الأعلى عن طريق تبطن الصور ذات الأهمية العاطفية ومن الجزاء والعقاب الذي فرضته هذه الصور نفسها، وقد أشار Pearsons إلى أن فرويد يلتقي هنا بتحليله للأنا الأعلى بالمفهوم الدوركايمي "القصر-الإرغام" إذ أن القصر ممثل كالأنا الأعلى الذي يمثل الأساس أو المنبع الاجتماعي للواجب الأخلاقي، فالأنا الأعلى هو الضبط الاجتماعي الذي يُبطن ويُتمثل.

^١ - صالح محمد علي أبو جادو (٢٠٠٠): مرجع سابق، ص: ٤٥

كما يذهب أنصار مدرسة التحليل النفسي إلى اعتبار أن مراحل النمو النفسي (فمية - قضيته - شرجية) يمكن أن تصلح لتفسير السنين الخمس أو الست الأولى من الحياة وهي السنوات الهامة التي تكون مسئولة عن تشكيل أنماط الشخصية في الحياة الراشد. (١)

إن قراءة متأنية للنمو النفسي يمكننا من استنتاج أن النظرية التحليلية النفسية تنص على أهمية العلاقة بين الطفل وأوليائه وخاصة مع أمه، وأي خلل في هذه العلاقة يكون لها عواقبها الخطيرة على صحة الطفل النفسية والعقلية والاجتماعية، فقد يصبح الطفل مريضاً عقلياً أو نفسياً أو اجتماعياً، ومن الأمراض التي قد يصاب بها الذهان (الفصام، الهوس، السوداوية) والعصاب (الخوف والهستيريا والوسواس) والسيكوباتيا والسوسيوباتية (الانحراف، الإجرام، إدمان المخدرات والكحول... الخ)

يعتقد سيجموند فرويد أن حياة الفرد يتحكم فيها جهاز نفسي متكون من ثلاثة أقسام: "هو" و"أنا" و"أنا أعلى" و"الهو" أقدم هذه الأجزاء ويحتوي على ما يُعرف في اللغة التحليلية "النزوات" ويُمثل "الهو" دور الماضي أي الوراثة ويخضع لمبدأ اللذة المتمثل في محاولة تقليص وإزالة التوترات الناتجة عن الحاجات، توجد الطاقة الضرورية لنزوة الحياة والمسماة "ليبيدو" على مستوى "الهو" وهدفها تحييد الميول التهديمية.

وعندما يواجه "الهو" العالم الخارجي يتحول جزء منه ليلعب دور الوسيط بين "الهو" و"العالم الخارجي" وهذا ما أصطلح فرويد على تسميته بـ "الأنا" وظيفته الأنا هي تخزين التجارب التي تنشأ من التنبيهات الآتية من الخارج، وتكيفه معها أو الهروب منها لما تكون أقوى. يحاول الأنا بنشاطه تغيير العالم الخارجي في صالحه، كما يؤثر الأنا أيضاً على "الهو" بالتحكم في متطلباته النزوية. الأنا هو الذي يقرر إشباع النزوات أو تأخير أو منع هذا الإشباع إذا كان سيؤدي إلى رد فعل خطير من العالم الخارجي.

يخضع الأنا لمبدأ الواقع ببحثه عن اللذة وتفاديه للألم مع أخذه بعين الاعتبار متطلبات العالم الخارجي وإذا كان "الهو" يمثل دور الماضي، فالأنا يمثل دور الحاضر.

^١ - سناء الخولي (١٩٨٤): الأسرة والحياة العائلية، دار النهضة العربية، بيروت، ص: ٢٣٣،

ينمو الأنا فيتحول جزء منه إلى ما سماه فرويد "الأنا الأعلى" وهو يتعارض مع "الأنا" وهو ينتج عن تبعية الطفل لأولياته. يواصل "الأنا الأعلى" تأثيراته من الأولياء أو بديلها والمربين والأشخاص المثاليين، وعادات الأسرة والجماعة والمجتمع.

ويمثل "الأنا الأعلى" دور الماضي وهودور التقاليد، ويقوم أيضا بمراقبة الأنا ويعطيه الأوامر ويهدده بالعقاب، وتتجاوز قسوة الأنا الأعلى أحيانا قسوة المربين لأنه لا يحكم فقط على الأفعال وإنما أيضا على أفكار ونوايا "الأنا".

لقد وجهت انتقادات عدة إلى أنصار مدرسة التحليل النفسي وخاصة فيما يتعلق بأهمية مراحل النمو الأولى في الطفولة بالنسبة لتوافق الشخصية، فيما بعد لم تحظى من الناحية الامبيريقية بأي تأكيد يُذكر، لأن أكثر ما ذكره فرويد وأنصاره في هذا الصدد كان متعلقا بحالات مرضية لا يمكن أن تكون دليلا على ما يحدث بالفعل بالنسبة للغالبية العظمى من المجتمع الذين يحتمل ألا يتعرضوا لظروف استثنائية يمكن أن توصلهم إلى مستوى تلك الحالات التي عكف فرويد وغيره ممن اقتنعوا بآرائه على دراستها.

ب- التنشئة الاجتماعية حسب بياجيه Piaget: مساهمة بياجيه Piaget "العالم النفسي المعرفي" تتمثل بصورة أساسية في تناوله لنمو الفكر والذكاء واعتبر هذا النمو عبارة عن عملية اجتماعية ونفسية على حد سواء.⁽¹⁾ إن الطفولة بالنسبة إليه تتصف من الوجهة المعرفية ومن وجهة نظر أخلاقية على حد سواء بما يسميه التمرکز حول الذات *Egocentrisme* ويذهب في ذلك بقوله "أن الفرد لما يبتدأ فإنه يبتدأ بأن يفهم كل شيء من خلال نفسه قبل أن نميز ما يخص الأشياء والأشخاص الآخرين وما يصدر من تصوره الفكري والانفعالي الخاص، عند ذاك لا يستطيع الفرد أن يكون واعيا بفكره شخصيا، لأن الوعي بالذات يستلزم صراعا مستمرا بين الأنا والآخرين" من وجهة نظر منطقية، تؤدي مركزية الذات إلى نوع من اللاعقلانية مثل سيطرة الانفعالات أحيانا على الموضوع «Il voit les choses à travers lui».

ومن وجهة نظر أخلاقية تؤدي مركزية الذات من ناحية أخرى إلى نوع من الفوضى في المعايير، وإلى نوع من اللامعيارية مثل ذلك كمثال ملازمة الرقة والنزاهة بشيء من الأنانية

¹ - CITEAU.J, BITRIAN.P(1999): introduction à la psychosociologie :concepts et étude de cas, Armand, Paris, p :116

السادجة دون أن يشعر الطفل تلقائيا أنه حالة حسنة دون حالة أخرى وبما أن الأفكار التي تجتاز عقله تتمثل إليه على الفور على شكل معتقدات وفرضيات ينبغي التحقق منها ؛ كذلك فإن المشاعر التي تتبع بوعي الطفل فجأة يكون لها قيمة كبرى دون أن تحتاج إلى أن تخضع إلى تقييم لاحق، فالمعايير والمعارف وقيم الوسط الاجتماعي بعد أن كانت تفرض من الخارج من طرف الأولياء، تنتظم تدريجيا حتى تصبح منطق كل شخص ووعيه الذاتي. ومن هنا تتضح الأهمية التي أعطاها Piaget للتقدم اللغوي والوظيفة الرمزية وقد اعتبرهما أساسا للاتصال الاجتماعي.

يرى بياجى أن الطفل كائن لا أخلاقي (١) لا يعرف شيئا عما تعارف عليه الأفراد في حضارته، لا يعرف شيئا عن القانون والأخلاق والمعايير والضوابط الاجتماعية التي يمسك بها الأفراد، إذ يتعرف بها أثناء المراحل الارتقائية التي يمر بها، فيبدأ بمعرفة بعضها في مرحلة الطفولة، ثم ينجز معرفته الأخرى في المراهقة، ثم يواصل ذلك بعد تقدمه في مرحلة ارتقائية أخرى لينجز عملية فهم واستيعاب ما تعارف عليه الأفراد، وبذلك يكون أكثر تجريدا ووعيا في فهم القضايا الخلقية. ولقد درس بياجى الكيفية التي يستدل بها الأطفال لما يلعبون لعب ذو قواعد وتمكن من استنتاج وجود نوعين من الأخلاق: (٢) أخلاق مستقلة وأخلاق غيرية:

- الأخلاق الغيرية: ويسمى أيضا أخلاق الإلزام ويظهر خاصة عند الأطفال الصغار وفيها تأتي القواعد من الخارج وهي قواعد مقدسة وغير قابلة للتغيير والطفل ملزم بالامتثال لها وأي تعدي على هذه القواعد يؤدي إلى عقاب مباشر ينفذه واضع القاعدة.

- الأخلاق المستقلة: وتسمى أيضا أخلاق المساهمة، وتظهر خاصة عند الأطفال الأكثر سنا، توضع القواعد هنا من طرف أشخاص لكنها قواعد مستقلة وليست مرتبطة بشخص يلزم بها الآخرين فهي قواعد مستدخلة وقابلة للتغيير وأي تعدي على هذه القواعد يُتخذ بشأنه قرارا بالعقاب من طرف الجماعة.

^١ - محمد شمال حسن (٢٠٠١): مرجع سابق، ص: ١٩٢

^٢ - M. Born (2003): **la psychologie de la délinquance**, éd Boeck et Lancier, Bruxelles, P :165.

وهنا يُشير بياجيه إلى أن تقدم الفرد في العمر يؤدي إلى نضج أحكامه الخلقية بدليل أن استجاباته للمواقف لا تكون في العادة استجابات مباشرة بل استجابات تتطوي على فهم وإدراك لها.

ج- **مساهمة النظرية النفسية الثقافية:** ويمثلها عالمان رالف لينتون Ralph Linton وأبراهام كاردينار Abraham Kardiner. يعتقد رالف لينتون أن شخصية الأفراد هي نتاج الثقافة التي ولدوا وعاشوا فيها. والثقافة عنده هي: "مجموع من السلوكيات المتعلمة ونتائجها، ويتقاسم أفراد المجتمع العناصر المكونة لهذه الثقافة". (١)

ويتبع رالف لينتون الاتجاه السلوكي عندما يرى أن سلوك الفرد مشروط بالتعلم والتجربة التي اكتسبها بواسطة الآخرين. حيث يقصد بنتائج السلوك كما جاء في التعريف السابق الظواهر المادية والنفسية:

*الظواهر النفسية: ناتجة عن تفاعل الفرد مع بيئته وهذه الظواهر هي التي تمارس تأثير هام على أنماط السلوك المستقبلية للفرد. وتتضمن هذه الظواهر النفسية عناصر معرفية ووجدانية وتعبيرية ومؤسسية، وتتمثل العناصر المعرفية في نوعيه التفكير والمعارف والتقنيات والمعتقدات والأدب والفنون والموسيقى، أما العناصر الوجدانية فتتمثل في أنساق وهرمية القيم والأحكام، والآراء، والمواقف والأحاسيس والممنوعات التي يحرص عليها المجتمع أو يظهرها تجاه قيمة رمزية... الخ.

وتتمثل العناصر التعبيرية في اللغة التي تُعد دعامة للتعبير عن التصورات العقلية، كما أن اللغة توجه مضمون هذه التصورات، وإلى جانب اللغة هناك أيضا عناصر تعبيرية أخرى كالإيماءات، والهيئة التي يأخذها الجسم وتعبير الوجه، أما العناصر المؤسسية فتتمثل في بنية الأسر وقواعد القرابة، والقواعد التي تسير العلاقات والاتصال بين الأفراد داخل الطبقة الاجتماعية الواحدة وبين الطبقات، وأنساق التربية، وشكل الحكومة والنماذج التي تنظم من خلالها العلاقات الاجتماعية (علاقات الإنتاج . الأنساق الاقتصادية الهرمية الاجتماعية، الطبقات، والجماعات الاجتماعية، والعادات، والطقوس والأنساق الدينية). (٢)

¹ - Linton; R(1986): **le fondement culturel de la personnalité**, Bordas, Paris, P:53

² - ibid. p: 120

* الظواهر المادية: تضم مجموع العناصر المادية المصنوعة والمستعملة من طرف أفراد المجتمع (السكنات، الثياب، الأثاث، المواد المصنعة، التحف الفنية، آلات الموسيقى، وسائل النقل، وسائل الاتصال، المواد الغذائية المصنعة والمستهلكة...الخ). ويرى رالف لنتون أن العناصر المعرفية والوجدانية تشكل المظهر الضمني للثقافة أما العناصر التعبيرية والمؤسسية والظواهر المادية فتشكل المظهر الظاهر والصريح للثقافة.

تعدّ العناصر الثقافية الظاهرة وسيطا أساسيا لنقل الثقافة، يولّد الاتصال المباشر بالثقافة الظاهرة والتجربة الناتجة عن هذا الاتصال عند الأفراد " حالات نفسية مشتركة " تشكل لاحقا ما يعرف بـ: "الثقافة الضمنية" وتنتقل عناصر الثقافة إلى الصغار بواسطة الأجيال السابقة، ويتم هذا الانتقال بواسطة التقليد والتعلم والتربية.

يؤكد رالف لنتون على وجود وراثية اجتماعية تختلف عن الوراثة البيولوجية، توفر هذه الوراثة الاجتماعية للأفراد نماذج تكيف مع بيئتهم ومحيطهم الاجتماعي. وقد اقترح رالف لنتون أربعة أنماط من العناصر أو السمات الثقافية التي تتمزج الشخصيات الفردية وهي مرتبة حسب درجة انتشارها بين أفراد مجتمع ما: (1)

*سمات عامة: ينقسمها الجميع كاللغة، والقيم، وأنماط العلاقات الأساسية وعدد محدود من السلوكات المعتاد عليها، كل هذه السمات تشكل ما يسمى " شخصية قاعدية".

*سمات متخصصة: مشتركة بين كل الأفراد الذين لهم نفس المكانة ضمن صنف اجتماعي معروف، وتشكل هذه السمات " ثقافات فرعية " حيث تبقى تأثيرات الأسرة الأصلية والطبقة الاجتماعية سائدة عند الأفراد.

هذه السمات المتخصصة يسميها رالف لنتون "الشخصية المنزلة " وهي تدخل ضمن الشخصية القاعدية، وجزء منها ناتج عن التربية التي يوفرها المجتمع من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية (الأسرة المدرسة، الجماعات الاجتماعية، المؤسسة، المنظمات المهنية والدينية والسياسية) بغرض تمكين الفرد من أخذ مكانه المناسب داخل البنية الاجتماعية. وتساعد التربية الأفراد على معرفة واجباتهم والأهداف المرجوة منهم وبالتالي توجيه طاقاتهم وجهدهم نحو هذه الأهداف.

¹ - ibid. p: 123,124

*سمات اختيارية: وجود اختيارات عديدة ممكنة أمام نفس الوضعية وهذه الاختيارات يقترحها ويقبل بها المجتمع وهذا يعطي نوع من الحرية للأفراد، ويحدد المجتمع هنا السلوكات المنحرفة والمتمردة.

*خصوصيات فردية: الاختيارات التي يجريها الأفراد ضمن مجموع السلوكيات المقترحة من المجتمع، وهذه الاختيارات ليست مرتبطة فقط بقدرات هؤلاء الأفراد ولكن أيضا مرتبطة بتاريخهم الشخصي والذكريات الباقية المترسخة عنه (نجاح، فشل، رفض، إحباط، تثبيط) وحاجاتهم، ودوافعهم وتطلعاتهم.

ويعطي ابراهام كاردنار أهمية كبرى لمفهوم "المؤسسة" ويقول: "يؤدي اتصال الأفراد بالمؤسسات، أثناء تنشئتهم إلى اشراطهم اشرطا ما يلبث أن يخلق عندهم نمط معين من الشخصية".^(١)

والعلاقة بين الشخصية والوسط ليست علاقة من جانب واحد بل هي علاقة تبادلية فإذا كان الوسط مؤثراً على الشخصية، فهذه الأخيرة تمارس تأثير على الوسط وذلك بخلق مؤسسات جديدة هذه العلاقة المتبادلة جعلت أبراهام كاردينار ينظرَ لنوعين من المؤسسات : الأولى والثانوية: يقصد بالمؤسسات الأولية الأدبيات والقواعد الأساسية التي تعطي للأولياء والآخرين نماذج العناية بجسم الطفل (الرضاعة، وتغذية الرضيع، كيفية الفطام، العناية والاهتمام بالمولود الجديد، طريقة ارتداء الثياب، تعليم النظافة وكيفية التصرف عندما يتبرز الطفل)، ثم تحدد هذه القواعد التجارب الأساسية التي تساعد الطفل على استدخال ثقافة جماعته الاجتماعية داخل شخصيته، وتتمثل هذه التجارب في أنماط التنظيم الأسري (أسرة نووية أو ممتدة) وأنماط علاقات الطفل مع أفراد أسرته (وجود أو انعدام آداب تربية، العقاب أو انعدامه)؛ تكون أنماط السلوك حسب الصنف الذي ينتمي إليه الطفل (الجنس، العمر، الطبقة الاجتماعية الأصلية، الوضع المدرسي) وأنماط العلاقات مع الأصناف الأخرى (العلاقة فتاة - فتى، فتى - فتى، فتاة - فتاة، طفل-ولي، تلميذ-معلم...الخ) يُساعد استدخال هذه النماذج الطفل على التكيف مع وسطه الاجتماعي، كل هذه التجارب والسيرورات تشكل ما يسميه كاردينار " الشخصية القاعدية " وهي عبارة عن أنا مجرد (Moi Abstrait) مشترك بين كل الأفراد الذين تلقوا في طفولتهم نفس تأثيرات الوسط.

¹ - Kardiner. A (1969): **L'individu et sa société**, Gallimard, Paris, p :39

وتحقق هذه النواة المشتركة، المختلفة حسب الثقافات، انسجاما بين كل السلوكات الفردية داخل مجتمع معين. وتؤدي الشخصية القاعدية (الأنا المشترك بين الأفراد) إلى ظهور المؤسسات الثانوية (الاعتقادات، التصورات، أنساق الممنوعات -الطابو- الطقوس أو الممارسات الرمزية، الفولكلور وتقنيات التفكير... الخ).

وحسب كاردينار تشكل المؤسسات الثانوية ايدولوجية المجتمع وتهدف إلى تخفيف وطأة الحاجات والضغوط التي تفرضها المؤسسات الأولية، كما تنظم المجتمع، وتوحد وتوجه أنماط التفاعل بين الأفراد، وتوفر أنماط السلوك التي تساعد الأفراد على التمايز الشخصي وبالتالي تكوين ما يعرف بـ " الأنا المحسوس " (Moi Concret).

٢-٣-٣ النظريات الاجتماعية :

لقد عالج كثير من علماء الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي موضوع التنشئة الاجتماعية باعتباره يشكل حلقة بارزة في فهم السلوك الإنساني ويلقي الضوء على شخصية الفرد وبالتالي كيفية التعامل معه، وتوقع ردود أفعاله وتصرفاته في المواقف الاجتماعية المختلفة، ومن أهم العلماء والاتجاهات النظرية الاجتماعية التي اهتمت لهذا الموضوع نركز على النظرية البنائية الوظيفية والتفاعلية والرمزية.

أ- التنشئة الاجتماعية في البنائية الوظيفية :

ينظر أنصار هذا الاتجاه إلى أن التنشئة الاجتماعية وظيفة لا يمكن للمجتمع أن يستغني عنها لبنائه واستمراره في الحياة ومن أهم روادها ومؤسسيها تالكوت بارسونز (Talkott Parsonse -١٩٠٢-١٩٨٠) حيث تشكل التنشئة الاجتماعية لديه جزءا واسعا ومعقدا من تحليله الوظيفي للأسرة، وينطلق في معالجته لعملية التنشئة الاجتماعية من تحديد مفهومها أولا، ثم وضعها في سياق النظرية البنائية الوظيفية ونظرته هنا هي نظرة ثنائية حيث تتضمن مفهوم التنشئة الاجتماعية معنيان مترابطان.^(١)

- أن التنشئة هي التمثل الداخلي للثقافة التي تقدمها الأسرة الصغيرة لأفرادها.

^١ - صالح محمد علي أبو جادو (٢٠٠٠): مرجع سابق، ص ص: ٥٢، ٥٦

- التنشئة الاجتماعية تقوم بوظيفة إعداد الشخصية للفرد ليأخذ دورا مستقلا في المجتمع هذه الوظيفة يمارسها الأفراد القائمين على التنشئة بصورة عامة.

فهنا التنشئة الاجتماعية متضمنة في مفهومي الثقافة والشخصية أوهي عملية واحدة لوجهين مختلفين. فوظيفة التنشئة الاجتماعية هي مسؤولية الأسرة الأساسية في جميع الثقافات حسب بارسونز، وأن الأسرة النووية قد تخصصت بشدة في إنجاز هذه الوظيفة وليس كما يرى البعض بأنها فقدتها نتيجة لظهور مؤسسات أخرى .

كما يؤكد Pearson أيضا على أن الأسرة النووية لا يمكن أن تكون وهي منعزلة عن النسق الكلي،^(١) بل هي ترتبط بالنسق الكبير عن طريق الأب في المجال المهني من جهة وأن الأسرة ليست ثابتة بل تخضع للتغير عبر الزمان من جهة أخرى. ولقد استعان Parsons عند معالجته لموضوع التنشئة الاجتماعية بنظرية مارجريت ميد حيث طبق مفهوم التفاعل القائم بين الأم والطفل ورأى أن التنشئة الاجتماعية هي عملية تفاعلية بين هذين العنصرين من عناصر الأسرة والتي فيها يتوحد الطفل مع أمه ويتمثل كل قيهما، وبذلك فهي عملية تفاعل عناصر إدراكية(معرفية)Cognitive وعاطفية Affective وتقييمية Evaluatrice . وهي عملية تدريجية نحوالتعميم من مثل " أفعل هذا لأن الأم تقوله " إلى أفعل هذا لأنه هوالصحيح. ومن هنا تصبح الأسرة هي النسق المفتوح الذي يترك المجال للطفل كي يتعرف إلى النسق الخارجي من نافذة الأب والأم الذين يعملان على نقل ثقافة المجتمع وترسيخها في ذات الطفل كي يعيش حياة سوية بالمجتمع ويحافظ على الأنماط النظامية القائمة.

ب- التنشئة الاجتماعية في ضوء التفاعلية الرمزية:

يرى أصحاب هذه النظرية أن شخصية الفرد ليست ثابتة، كما أن عملية التنشئة الاجتماعية تستمر مدى الحياة وأن دور الوالدين والأجداد والأعمام والمعلمين في عملية التفاعل بالنسبة للأطفال والراشدين معا مهم جدا في التنشئة الاجتماعية، وإلى جانب الحاجات الداخلية والدوافع باعتبارها مصدر للطاقة، فإن التفاعل مع الآخرين والمعاني والرموز. الخ له أهمية

^١ - مروحة نوار (٢٠٠٢): علم النفس الاجتماعي، محاضرات أكاديمية لطلبة الماجستير دفعة

الانحراف الاجتماعي، قسم علم الاجتماع، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، ص: ٥٣

في حياة الأفراد وسلوكهم.^(١) وعلى رأسهم جورج ميد ومن بعده تلاميذه ولقد انطلق أصحاب هذا الاتجاه من مدخل نفسي - اجتماعي لبحث موضوعين رئيسيين هما : التنشئة الاجتماعية والشخصية. كما تنطلق التفاعلية الرمزية في معالجاتها لموضوع الأسرة من تحليل السلوك الإنساني باعتبارها نسقا مغلقا من التفاعلات الاجتماعية وأن التفاعل الاجتماعي عملية تتم بين بني الإنسان الذين يتعاملون مع الأشياء على أساس معانيها بالنسبة لهم هي المعاني التي تستمد من التفاعل الاجتماعي الذي يمارسه الفرد مع الآخرين فأصحاب هذا الاتجاه يرون أن الطفل عند الولادة لا يكون اجتماعيا أو غير اجتماعي، لكنه عن طريق التفاعل مع الآخرين تنمو اللغة وتستمدج لديه المعاني، ومن ثم تبدأ الذات الاجتماعية في الظهور. ومن هذا التصور تصبح التنشئة الاجتماعية والسلوك الذي يعتبر تعبيرا عن عملياتها لا يعتمد في كثير من نواحيه على الدوافع أو الحاجات أو العمليات اللاشعورية أو الخصائص الفطرية أو البيولوجية وإنما يعتمد أكثر على العمليات التفاعلية وعلى المعاني المستمدة للذات وللآخرين.^(٢)

٢-٣-٤ مناقشة النظريات المفسرة للتنشئة الاجتماعية :

في ضوء النظريات المختلفة التي حاولت تحليل التنشئة الاجتماعية وفق مختلف الرؤى: سلوكية، نفسية، واجتماعية. وكل رؤية حاولت أن تشمل عملية التنشئة الاجتماعية من منظورها الخاص، وهو ما يجعلنا نقف أمام حقيقة أن الإنسان ينشأ في المجتمع وينمو في أحضانه ويتعلم فيه المبادئ الأساسية للحياة الاجتماعية ويكتسب فيها المعالم الأولى لشخصيته.

فالتنشئة الاجتماعية في شكلها التكاملي يمكن أن تمثل عملية الاكتساب والتلقين والتشكيل والتغير التي يتعرض لها الطفل في تفاعله مع الأفراد والجماعات وصولا به إلى مكانته التي تليق به في المجتمع بقيمه واتجاهاته وعاداته وتقاليده. وهي تلك العملية التي يتم من خلالها التفاعل الاجتماعي وتتيح للفرد اكتساب شخصيته الاجتماعية التي تعكس

^١ - سناء الخولي (١٩٨٤)، مرجع سابق، ص: ٢٣٧

^٢ - نفس المرجع ، ص: ٢٣٧

ثقافة مجتمعه، وهي تتضمن عملية اكتساب الفرد لثقافة محيطه الواسع وفي مقدمتها اللغة، الدين العادات والتقاليد والقيم والأخلاق عن طريق التبطن والتعلم والاستدخال.

وحيثما يتعلق الأمر بكيفية تلقين واكتساب السلوك الإجرامي والانحرافي من المحيط الذي يعيش فيه الفرد فإن ذلك يدفعنا لتأكيد أن هذا السلوك مثله مثل بقية السلوكات الاجتماعية الأخرى قد يتعلمها الشخص نتيجة تقمص النماذج أو استدخال قيم البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد من جهة ومن جهة أخرى قد تدفع به الرغبات الشعورية والاشعورية إلى إتيان هذا الفعل الإجرامي لتحقيق المكاسب النفسية التي تُشعره بالارتياح. فمجريات الحياة الاجتماعية ومصاعبها والمشكلات التي يتخبط فيها الفرد وفق ما يمليه دوره الاجتماعي المنوط به تُعد اللبئات الأولى لعوامل الخطورة التي تجعل من هذا الفرد يشعر بالإحباط الدائم، والحياد عن تحقيق ذاته وسط بيئته وقد يعزز هذا الشعور بتفاقم مشكلاته الاجتماعية والاقتصادية فيكون المرور إلى الأفعال الإجرامية أحد المخارج التي يعبر بها عن رفضه لهذا الواقع.

خلاصة الفصل

لقد حاولنا من خلال استعراض عناصر هذا الفصل الحديث بشيء من التفصيل عن تحديد المفاهيم المتعلقة بموضوع الدراسة في بعديها اللغوي والاصطلاحي وقد تعلق الأمر بكل من مفهوم التنشئة الاجتماعية، الأسرة، أساليب التربية، القيم، عمالة الأطفال، وأخيراً مفهوم أطفال الشوارع، كما حاولنا توضيح الأطر المرجعية التي من خلالها يمكن الوقوف على حقيقة الظاهرة فهما واستقصاء، وسنتعرض في الفصل اللاحق الذي نخصصه للحديث عن الإطار المنهجي للدراسة عن الخصائص المنهجية والأساليب التي تتلاءم واستكمال إجراءات هذه الدراسة.